رئيس التحرير

obeikan.com

obeikan.com

رئيس التحرير

(أهواء السيرة الذاتية)

رواية

أحمد فضل شبلول

openkan.com

obeikan.com

إهداء

إلى منى فارس والجوهرة إبراهيم

وحل يبحث عن مشكلة

obeikan.com

obeikan.com

ألاعيب ثقافية

ستة شهور مرت على آخر اتصال تليفوني من رئيس التحرير.

قال لي: لا تغامر بتقديم استقالتك من عملك في مصر، فأمامنا وقت طويل لإنهاء إجراءات عملك لدينا، فالأمر ليس بالسهل أو اليسير.

قلت له: لن أقدم استقالتي، وإنما سأتقدم بطلب للحصول على إجازة بدون مرتب من عملي فور وصول ما يفيد التعاقد معكم.

لم أخبر أحدا بأنه جاري تعاقدي مع مجلة خليجية، خاصة أصدقائي القاهريين الذين من المؤكد سوف يحاولون خطف هذه الفرصة وترشيح أحد منهم، فقد جربتهم مرات كثيرة، ولُسعت منهم. ومن هذه المرات، أحد المهرجانات الشعرية بالخليج، عندما جاء مندوب المهرجان إلى القاهرة، يحمل

obeikan.com

أسماء عدد من الشعراء المصريين للمشاركة في المهرجان، وكان اسمي مدرجا في كشف الشعراء المرشحين، وعندما سأل شاعرا قاهريا عني قال له: لا نعرفه، يبدو أنه شاعر مغمور من شعراء الأقاليم، لكن لدينا فلان وفلان.

بعد سنوات التقي هذا المندوب في بلده الخليجي، فيذكر الواقعة، وأنه التقى فلانا وقال ما قاله. ابتسمت ولم أعلق فقد كان الشاعر القاهري من شعرائي المفضلين الذين التقي بهم دائما كلما ذهبت إلى القاهرة، ويعرفني تماما ومعه رقم تليفوني.

مرة أخرى عندما رشحني رئيس لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة للسفر مع شاعر آخر من الإسكندرية لتمثيل مصر شعريا في مهرجان يُعقد سنويا في فرنسا يسمى مهرجان لوديف لشعراء البحر المتوسط. ولكن في آخر الأمر تم استبدالنا بشاعرين آخرين من القاهرة.

مرت الأيام. لم يتصل بي رئيس التحرير، كدت أنسى السفر والعمل، وانهمكت في القراءة والكتابة وحضور الندوات والمشاركة في المهرجانات، إلى أن رشحني أحد الأصدقاء للمشاركة في افتتاح المركز الكوري للثقافة العربية والإسلامية

في كوريا الجنوبية. وهناك التقينا بعدد آخر من المشاركين العرب، كان من بينهم رئيس تحرير المجلة التي سأعمل بها، والذي كان يكلفني بطريقة غير مباشرة بكتابة تقارير وانطباعات عن الرحلة وعن البرنامج، وينبهني إلى ضرورة التقاط الكثير من الصور ومن زوايا مختلفة، رغم وجود محرر آخر معين في المجلة معه، لم يكن يفارقه إلا عند نومه. أحس هذا المحرر بخطورتي عليه وعلى مكانته وحظوته، فأخذ أحيانا يتقرب مني، وأحيانا يهملني ويتجاهلني، حتى يتضح له من أنا.

بعد العودة من الرحلة الكورية بأيام، جاءني اتصال تليفوني من مكتب رئيس التحرير، أخبرتني سكرتيرته بأن أُجهِّز نفسي للعمل بالمجلة، فقرار التعيين على وشك الصدور. شكرتها، وأخذت أُعدُّ العدة.

على الرغم من زياراتي المتعددة للخليج، وعملي السابق بالرياض فقد أدركت أن هذه المرة الأمر مختلف، صحيح أنني عملت رئيسا لتحرير عدد من المجلات من قبل، لكنها كانت مجلات شديدة المحلية، أو شديدة الإقليمية.

كانت أول مجلة أرأس تحريرها، مجلة حائط عندما كنت طالبا في كلية التجارة جامعة الإسكندرية، كان اسمها "دعوة للتأمل"، لم أعرف الآن لماذا اخترت هذا الاسم. كانت مجلة الحائط الوحيدة التي يستمر تعليقها لأسابيع حتى صدور العدد التالي، بينما مجلات أخرى يصدرها زملاء آخرون لم تعلّق سوى يومين على الأكثر. لا أحد يعرف من الذي كان يرفعها أو يمزقها من على حائط الكلية المخصص لنشر مجلات الحائط.

كنت أنشر في هذه المجلة الحائطية التي كنت أعدّها بنفسي وأكتبها بخط يدي، قصائد لي، ولغيري من الأصدقاء الشعراء من جيلي، ومختارات من شعراء مصريين وعرب آخرين. فهل هي دعوة موجهة لطلاب الكلية والكليات المجاورة بالمجمع النظري بالشاطبي للتأمل في معاني الشعر والإبحار إلى عالم الشعراء؟ بالفعل كانت هناك تعليقات يكتبها بعض الطلبة على أماكن مختلفة من المجلة الحائطية.

ذات مرة وأنا أعلق عددا جديدا من أعداد المجلة، وجدت زميلة تقف بجانبي وتقول لي: طبعا لا بد أن يتركوا مجلتك

بالأسابيع معلقة، وتُمزَّق مجلتنا فور تعليقها. قلت لها: هل يمكنني أن أتعرَّف عليكِ.

لم تذكر اسمها ولكن أكملت حديثها، قالت: هل تفكر أن هذا الذي تكتبه أو تنشره شعرا؟

. أعتقد أنه شعر.

ـ ليس شعرا، الشعر لا بد أن ينبع من موقف سياسي مثل شعر أمل دنقل ونجيب سرور وأحمد فؤاد نجم وناظم حكمت وبابلو نيرودا، أما هذا الكلام الذي تنشره ليس شعرا ولا أي حاجة.

قلت لها بدون أدنى انفعال: إذًا العدد القادم ننشر قصائد لأمل دنقل فأنا قرأت ديوانه "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة".

التمعت عيناها، لكنها قالت: لن تستطيع. لأنهم سيمزقون مجلتك على الفور.

. مَنْ تقصدين؟

ـ إذًا أنت لا تفهم شيئا. أدعوك لحضور اجتماعنا في "جمعية الدراما" يوم الجمعة بمحطة الرمل.

. من أنتم؟

نظرت حولها وقالت هامسةً: نحن مجموعة اليسار بالكلية، وزميلنا محمود إبراهيم شاعر أيضا وهو الذي أرسلني إليك. يقول إنك خامة طيبة وغير مشترك في أي جماعة سياسية. لو لم تعرف المكان انتظرك عند الرملي بائع الكتب عند سنترال محطة الرمل ونذهب معا.

. أنا لا أعرف محمود إبراهيم.

ـ هو يعرفك. سمعك في أمسية شعرية بقصر ثقافة الحرية، ويعرف الشعراء الكبار هناك.

. انا سأحضر معكم لأجلك انتِ، ولكن ما اسمك؟

. انا اسمي درية إبراهيم.

. اخت محمود إبراهيم؟

. لا .. تشابه أسماء.

أخذت أفكر في درية. نسيت موضوع مجلة الحائط والقصائد وجمعية الدراما. قلت إنها قصيدة خفيفة الوزن في حد ذاتها. كانت درية ابراهيم على قدر متوسط من الجمال، ذات شعر أسود قصير، لكنه ليس ناعما ولا يطير، مُسرح على نمط الأربعينيات، وعينين سوداوين متسعتين وبرّاقتين، كلها حدة وذكاء. كانت نحيفة جدا. مخلوق ضئيل وصغير، ساقاها

نحيلتان كسِلْكٍ سميك، وقد تلتويان في أي لحظة، وصدرها مسطح تماما. كيف يتسنى لرجل ما أن يدخل فيها، وهل هي ترتعش لنشوة ما في أحلامها؟

عرفتُ أن زملاءنا بالكلية يطلقون عليها "خشبة عمود عبدالواقف" لشدة نحافتها وضآلتها. كانت تعرف هي بهذا الاسم أو اللقب، تضحك منه، تقول في إصرار وبما يشبه التهديد والتحدي: الخشبة أفضل من الزعزوع، الخشبة تستطيع بها أن (ترزع) واحدا على دماغه عندما يقل أدبه، أما الزعزوع فليّن ورخو ويميل مع الريح حيث يميل، ليس لديه موقف.

المجلة الثانية التي كنت رئيس تحريرها كانت بعنوان "إشراقة". صدرت عن اللجنة الثقافية باتحاد طلاب كلية التجارة، وكانت تطبع بماكينة "الاستنسل".

فاز التيار الإسلامي في انتخابات اتحاد الكلية. شُكِّلت اللجان. صعدت زميلتنا المحجبة فوقية لاشين، للجنة الثقافية. سقطت أمامها درية إبراهيم التي عاتبتني لأنني لم أنفذ وعدي بالذهاب إلى "جمعية الدراما"، لكنها طلبت مني

أن أساندهم في انتخابات اتحاد الطلاب، في الوقت الذي طلب مني المعتز بالله أن أساند الطلاب الأخوان في انتخاباتهم الشرسة أمام الطلاب اليساريين.

دخلت لجنة الانتخابات. لم اختر أحدا، وأبطلت صوتي. ولكن ينجح التيار الإسلامي. يمتلك زمام الاتحاد، نشاهد ذقونا طلابية كثيرة تملأ الكلية.

ظنت فوقية لاشين أنني انتخبت أسرتها بالكلية، فأسندت لي رئاسة تحرير مجلة ثقافية تصدرها اللجنة. اخترتُ اسم "إشراقة" لها. لم يصدر منها سوى عدد واحد. بعد صدوره اكتشفوا أنني كتبت مقالا عن الشاعر الفرنسي رامبو، وصفت حياته، قلت إنه كان شاذا جنسيا، فاعترض مجلس اتحاد الطلاب. قال رئيس الاتحاد محتدًا كيف تكتب عن شاعر أجنبي قذر وفاسد مثل هذا، كيف تروِّج للفكر المنحرف في مجلة تصدرها جماعتنا؟ لماذا لم تكتب عن مولانا حسان بن ثابت شاعر الرسول (عليه الصلاة والسلام) مثلا؟

. أنا حر اكتب عمّن أريد. لا بد من تعريف الطلاب بالشعراء الأجانب الذين أثّروا في الحركة الشعرية العالمية.

. لست حرًّا هنا، النشر له تقاليد عندنا، عموما سأسند رئاسة التحرير لفوقية لاشين نفسها.

غادرتُ جلسة المحاكمة. لم تصدر المجلة بعد ذلك.

obeikan.com

١٨ و١٩ يناير

ظهري لا يزال يؤلمني من ضربة الشومة (عصا غليظة) عليه، أثناء المشاركة في انتفاضة ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧، التي أطلق عليها السادات "انتفاضة الحرامية".

أخبرتني دريـة إبـراهيم أن غـدا ١٨ ينـاير سـتكون هنـاك مظاهرات وانتفاضة شعبية بسبب غلاء المعيشة ستخرج من الترسـانة البحريـة، ويجـب علـي أن أشـارك فيهـا باعتبـاري شاعرا يشارك الشعب همومه وآلامه وأوجاعه. أعطتني ورقة فيها بعض الشعارات التي سيرددها المتظاهرون. طلبت مني أن أضيف إليها شعارات أخرى. قرأت الورقة:

" **يا ساكنين القصور .. الفقرا عايشين في قبور**

يا حاكمنا في عابدين .. فين الحق وفين الدين

سيد مرعى يا سيد بيه .. كيلو اللحمة بقى بجنيه "

. إنها شعارات مباشرة ليست فيها لمسات فنية.

ـ هل تظن أن هذا شعر. طبعا لا. أقول لك: شعارات مثل شعارات ثورة ١٩١٩ وشعارات الحركة الطلابية ضد عبدالناصر في عام ١٩٦٨، أم أنك لا تعرف شيئا عن تلك الشعارات؟

مزقت الورقة التي أخذتُها من درية، فغضبت مني، لكنها فرحت عندما قلت لها: أنا معكم غدا. قالت وأنا سأتصل بعد نجاح الثورة بالأستاذ لطفي الخولي رئيس تحرير مجلة "الطليعة" لتنشر شعرك هناك، بدلا من المجلات التافهة التي تنشر فيها.

ذهبت صباحا إلى الكلية. وجدت تحركات غير عادية على مستوى المجمع النظري للكليات. تجمعات طلابية ضخمة، لم أجد أحدا من الطلاب الملتحين.

وسط هذه الجموع التقطتني درية مبتسمة، سألتني: جاهز؟

قلت لها في توجس: جاهز.

ـ عندما تحين ساعة الصفر سأشير لك كي ننطلق مع الجماهير.

. تمام.

لم يمض وقت طويل حتى وجدت نفسي مع مئات الطلاب مندفعا اندفاعا ذاتيا خارج أسوار الكلية، ملتحما مع أعداد غفيرة من عمال شركة الترسانة الذين كانون يرددون الهتافات والشعارات التي قرأتُها في الورقة قبل تمزيقها. كانت تسير إلى جانبي "خشبة عمود عبدالواقف" التي تحولت إلى عود كبريت مشتعل من فرط الحماس والهتاف ولذة المشاركة الجماهيرية.

وصلنا إلى الشلالات لنلتحم مع طلاب كلية الهندسة القادمين من شارع أبوقير، وجدنا قوات الأمن المركزي تتصدى لنا بالهراوت والعصي قرب قسم باب شرقي، ونحن نواصل التقدم والزحف. لم أشعر إلا بضربة تأتيني من الخلف أوقعتني على الأرض، وعبر فوق جسدي عشرات من المتظاهرين الذين هرولوا بسرعة، لكني قاومت. لم أفقد الوعي.

لم أدر هل الضربة كانت من أحد أفراد الأمن المركزي، أم من أحد آخر؟

ساعدني أحد عمال الترسانة البحرية على النهوض سريعا. انتحى بي جانبا، ثم انطلق الى المظاهرات. وجدتني داخل

حدائق الشلالات. تحاملت على نفسي واتجهت جنوبا إلى استاد البلدية، فشارع منشا، لم تكن المظاهرات قد وصلت إلى هناك بعد.

استوقفني في شارع محرم بك وأنا أعبره الى شارع الاسكندراني رجل سألني: هل انت يا بني كنت في المظاهرات؟ خفت اقول له نعم فيقبض علي.

لكن واجهه شخص آخر قائلا: ألا ترى شكله، أكيد كان في المظاهرات.

نظر اليَّ الرجل الأول بنوع من الشفقة عندما وجدني أتوجع من آلام ظهري، والدموع تملأ عينيه، مرددا: أكيد محمد ابني هناك أيضا.

بعد برق ورعد وغمام كثيف أمطرت سماء الإسكندرية بشدة. تحاملت على نفسي حتى وصلت البيت في شارع الإسكندراني. دخلت متألما في صمت، قالت والدتي: أرأيت الذي يجرى بالشوارع، سمعنا ان هناك مظاهرات والحمد لله انك أتيت. أبوك كان مشغولا جدا عليك.

في مساء اليوم نفسه تم عرض مسرحية "مدرسة المشاغبين". التف أغلب الناس حول التلفزيون، نسوا المظاهرات والانتفاضة والثورة الشعبية.

هدأت الدنيا بعد عدة أيام. ذهبت في حذر إلى الكلية. علمت أنه تم القبض على درية إبراهيم ومحمود إبراهيم. إذًا لن يكون هناك اتصال برئيس تحرير مجلة "الطليعة". لن أنشر قصائدي بها.

ما شغلني في هذا الأمر كيف عرفت درية إبراهيم صبيحة يوم ١٧ يناير، أن في الغد ستخرج المظاهرات. رئيس الوزراء عبدالمنعم القيسوني خطب في مجلس الشعب مساء يوم ١٧ يناير، ورُفعت الأسعار مما أغضب الشعب فخرجت المظاهرات صبيحة اليوم التالي.

كيف عرفت درية إبراهيم .. هل هي ....؟

وماذا كنت سأكتب عما حدث لو أنني رئيس لتحرير جريدة حكومية؟ ماذا كنت سأكتب لو أنني رئيس لتحرير جريدة معارضة؟

استدعاء

كثيرا ما كنت أسأل نفسي: ما مهمة رئيس تحرير أي مطبوعة؟

هل هو المشرف على جهاز التحرير كله، أو جزء منه، في أي مطبوعة دورية، سواء كانت جريدة أو مجلة. هل هو المنفِّذ للسياسة العامة وصاحب القرار التنفيذي بشأن المادة الصحفية؟

هل أنا أصلح لأن أكون رئيس تحرير مجلة ثقافية معتبرة؟

كنت أقف أمام أكشاك الجرائد والمجلات في محطة الرمل. أحلم أن أكون رئيسا لتحرير إحداها. كثيرا ما كنت أشتري جرائد ومجلات متنوعة مصرية وعربية بالألوان أو بالأبيض والأسود، لمجرد ملامستها وتصفحها ومطالعة الصفحات الثقافية فيها. مع حرصي المستمر على شراء المجلات الثقافية المتخصصة (الهلال، العربي، الدوحة، الكاتب،

obeikan.com

الجديد، إبداع، أدب ونقد، الثقافة العربية، الأقلام، الطليعة الأدبية، المورد، عالم الفكر، وغيرها) وقراءتها من الجلدة الى الجلدة، خاصة تلك التي كنت أراسلها فينشرون لي مرة في بريد القراء، وأخرى في متن المجلة نفسها، مرة يدفعون مكافآت ومرات لا يدفعون.

لأول مرة يظهر اسمي في جريدة "الأهرام" كان ضمن إعلان عن عدد جديد من مجلة "الكاتب" نشروا فيه أسماء كل الكتاب الذين لهم مواد فيه.

كانت مجلة "الثقافة العربية" التي تصدر في بنغازي بليبيا تصل إلينا بشكل شهري مستمر. أرسلت لرئيس تحريرها إحدى قصائدي عن طريق البريد. بعد أسابيع قليلة وصلني رد من المجلة، يخبرني بوصول القصيدة وأنها ستنشر في أقرب عدد.

في مساء اليوم نفسه، جاءني أول استدعاء من مباحث أمن الدولة.

قالت لي والدتي بعد عودتي من إحدى الندوات: جاء شخص، وسأل عنك، وترك لك هذه الورقة، ويقول لك لا بد أن تحضر غدا في الميعاد المكتوب بالورقة.

قرأت الورقة وحمدت الله أن والدتي لم تعر الأمر أهمية، ولم تستشعر أي خطورة، بينما بطني كانت تكركب.

قلت لها: سأذهب ان شاء الله.

لم أنم ليلتها. لم أعرف السيطرة على بطني، أصابني مغص مفاجئ، ترددت كثيرا على دورة المياه. استيقظت والدتي أكثر من مرة، تسألني ما بك؟ أخبرها: يبدو أن هناك طعاما فاسدا (غير صابح) أكلته قبل عودتي من الخارج. أعدتْ لي كوب ليمون ساخن (ليمسك بطني) مع حبة أنتوسيد المضاد للإسهال.

في الصباح تماسكت بعد أن أكدت لنفسي أنه ليس هناك شيء يؤخذ علي، فأنا لست من الشيوعيين أو اليساريين أو أنتمي إلى تنظيم الأخوان المسلمين، أنا مصري وكفى.

هل الأمر له علاقة بمظاهرات ١٨ و١٩ يناير التي فاتت عليها شهور، هل دريه إبراهيم ذكرت اسمي في أحد التحقيقات معها، فقرروا استدعائي لأخذ أقوالي؟ هل محمود إبراهيم أراد توريطي في شيء ما، بعد أن لاحظ عدم تفاعلي معهم؟ هل رئيس اتحاد طلاب الكلية وشي بي بعد أن صدر العدد الأول والأخير من "إشراقة"؟ هل .. هل ؟

توجهت بثقة لمبنى مباحث أمن الدولة بشارع الفراعنة في منطقة الشلالات، ومعي الاستدعاء. سلمته لموظف الاستقبال بالدور الأرضي. اتصل هاتفيا بشخص ما، ثم قال لي: استرح قليلا حتى يفرغ الباشا لمقابلتك. جلست على كرسي في نهاية الحجرة، وأنا في غاية القلق والاضطراب، تتجول عيناي في المكان وأتابع كل من يدخل ويخرج، هل هؤلاء متهمون مثلي، أم موظفون بالجهاز؟ أدقق وأحملق في الوجوه حتى استطعت التفرقة بين المتهم والموظف.

تجد المتهم – حتى لو كان بريئا – على سحنته بعض الاضطراب والخوف والتساؤل والعكننة والهم والانكسار، لا يرغب النظر في وجه أحد. يدخن بشراهة، أما الموظف الأمني فتجده لا يبالي ويداعب زملاءه. يشك في كل شخص غريب يدخل المكان، يحدق بك طويلا ليكتشف من أي نوعية هو. يدخن بلذة.

بعد ساعة ذكّرته بنفسي وبورقة الاستدعاء. أجرى اتصالا تليفونيا. قال العبارة نفسها.

بعد ساعة أخرى ومن فوق سطح صفيح ساخن ذكّرته ثانية. أجرى اتصالا تليفونيا، قال لي: أطلع الدور التاني الباشا في انتظارك.

صعدت للدور الثاني. سألت عن مكتب الباشا، قادني شخص إليه.

استقبلني الرجل بترحاب فاتر وبشاشة مصطنعة، طلب مني الجلوس على كرسي بجانب حافة مكتبه، قال: عطلناك عن محاضراتك في الكلية اليوم. سأدخل في الموضوع مباشرة.

. اتفضل، أنا لم أفهم شيئا.

. منذ متى وأنت تراسل المجلة الليبية؟

أدركت على الفور أن هذا الاستدعاء مرتبط بالخطاب الذي تسلمته صباح أمس من رئيس تحرير المجلة، كما أدركت أن أحد موظفي مكتب البريد على اتصال بمباحث أمن الدولة، يبلغهم عن أي بريد مشبوه من وجهة نظره، أو من وجهة نظرهم.

قلت: أول مرة أراسلهم منذ حوالي شهر. صباح يوم أمس تسلمت خطابا منهم يفيد وصول القصيدة التي أرسلتها بغرض النشر بالمجلة.

. كيف تعرفت على المجلة؟

ـ المجلة تأتي شهريا إلى باعة الكتب والمجلات في محطة الرمل. أشتريها من هناك.

. ألا يكفيك المجلات التي تنشر فيها في مصر. (وأخذ يعدد أسماء المجلات التي أنشر فيها بالفعل).

. ابتسمتُ ابتسامة شاحبة: الانتشار العربي مطلوب أيضا.

. الانتشار العربي أم المكافأة المالية الكبيرة؟

. لا أعرف كم يدفعون من مكافآت للأعمال المنشورة في تلك المجلة. لم أنشر بها من قبل.

ـ ولكن نحن في حالة خصومة مع النظام الليبي، ألا ترى كاريكاتير مصطفى حسين واحمد رجب يوميا في جريدة الأخبار؟

ـ حقيقي هناك خصومة سياسية مع نظام القذافي، ولكن اعتقد أن الثقافة توحد الشعوب ولا تفرقها.

. من غيرك يتابع تلك المجلة ويرسل لها؟

ـ لا أعرف! غالبا هذا يتم دون أن يخبر أحدنا الآخر أنه يرسل لمجلة كذا. لا نعرف إلا في حالة النشر.

. ما أسماء أصدقائك الشعراء في الإسكندرية الذين تتوقع أن يرسلوا قصائدهم لهذه المجلة؟

ـ لا أعرف من الذي يراسل المجلة ومن لا يراسلها. عن نفسي قلت لك متى راسلتهم؟

ـ إذا عرفت اسم أي شاعر أو كاتب يراسل المجلة أخبرنا فورا.

. حاضر.

. أريد منك شيئا آخر.

. تفضل

. أن تكتب لي بخط يدك الآن القصيدة التي أرسلتها للمجلة.

. لا أحفظها وليست معي نسخة منها الآن.

ـ إذًا انتظرك في الغد لتأتي بها، إذا لم تجدني اتركها في مظروف لدى موظف الاستقبال بالدور الأرضي.

مررت في اليوم التالي. قلت لموظف الاستقبال: اعط المظروف للباشا. قال إنه في مكتبه إذا أحببت أن تصعد اليه.

. سأنتظر ساعتين مثل أمس؟

. لا .. أصعد فورا.

obeikan.com

. صعدت ودخلت المكتب. قام الباشا من على كرسيه مرحبا، لم يدعنِ للجلوس، سلمته المظروف وأنا واقف، لمحت على مكتبه العريض ملفا عليه اسمي ورقما لا أتذكره الآن.
مع مطلع الشهر الجديد، سألت كعادتي عن المجلات الثقافية الشهرية المصرية والعربية. عرفت أن مجلة "الثقافة العربية" تم منعها من دخول مصر.

****

لم تكن تلك المرة هي الوحيدة التي أذهب فيها لمبنى مباحث أمن الدولة في الإسكندرية، فقد زرتهم بعد ذلك أكثر من مرة، خاصة عندما كنت رئيسا لتحرير مجلة "فاروس للآداب والفنون" التي تصدرها "جماعة فاروس" إحدى الجماعات الأدبية الوليدة في الثغر عام ١٩٨٠.
بعد صدور العدد الأول بأيام، وجدت استدعاء آخر. ذهبت رابط الجأش هذه المرة، ووجدت باشا آخر غير الأول، الغريب أنني وجدت ملفي على مكتبه، يتصفحه قبل صعودي إليه، كما وجدت نسخة من المجلة أيضا.

قالي لي: لماذا لم تأخذ موافقتنا على إصدار هذه المجلة؟

. لم أكن ادري أنه لا بد من أخذ موافقتكم.

نظر لي نظرة فاحصة. أخذ يقلب في أوراق المجلة المكتوبة بخط اليد لضيق ذات اليد.

. لا توجد مشكلة.

بعد تجهيز العدد الجديد وقبل طباعته بالماستر، أذهب إلى المبني وأقابل الباشا، فيطّلع على العدد ويختمه ويصرح بطبعه.

مع العدد الرابع، قال لي: لا تأتِ إلى هنا مرة أخرى، نحن نعرف اتجاهاتكم وأفكاركم، فلا تضيع وقتك ووقتنا.

لم تستمر المجلة سوى سبعة أعداد، توقفت تلقائيا. لكن المشكلة كانت في الكتب التي تصدرها المجلة، كان لا بد لها من موافقة أمنية في ذلك الوقت. نصحني أحد الأصدقاء بضرورة التوجه بالبروفة النهائية إلى جهاز مباحث أمن الدولة لأخذ الموافقة الأمنية، وتسليمها للمطبعة، واقترح أن يذهب معي.

صعدنا على الفور إلى مكتب الباشا. استقبل صديقي بالترحاب والأحضان. نظرت إليهما، لأتأكد أن صديقي من المترددين الدائمين على هذا المكان.

قال صديقي للباشا إننا سنصدر عدة كتب وهذه هي البروفات. لم يطلع الباشا على محتويات الكتب. لم يعرف حتى عناوينها، قال لصديقي: من أجلك أنت فقط. ختم على الصفحات الأولى ما يعني الإيعاز للمطبعة أن تطبع الكتب بعد أن تم فحصها من الجهاز. ثم قال: أريد نسخة من كل كتاب بعد الطباعة لأزين بها مكتبتي، فأنا أحب الأدب.

obeikan.com

منى فارس

الصحافة في الإسكندرية دائما تعاني. لم يستمر عمر أي مطبوعة بها سوى سنوات قليلة، أو أشهر عديدة، ثم تتوقف وتموت، ويموت معها حلم كل سكندري في أن يرى صحافة حقيقية تستطيع أن تنافس صحافة القاهرة. أعني بالصحافة هنا الجرائد والمجلات اليومية والأسبوعية والشهرية وأيضا الفصلية، وربما السنوية أو الحولية.

لم تشتهر الإسكندرية برؤساء تحرير لديهم الحس الصحفي والحدس المعرفي وطرح قضايا المواطنين بلغة صحفية رصينة وجادة، وفي الوقت نفسه خفيفة وجذابة. لا يوجد في الإسكندرية علي أمين ومصطفى أمين، أو أمثال محمد حسنين هيكل، أو أحمد بهاء الدين، أو أنيس منصور، على الرغم من أن جريدة الأهرام العريقة أسسها في الإسكندرية

اللبنانيان الشقيقان بشارة وسليم تقلا عام ١٨٧٥ حيث كانا يعيشان فيها.

ولكن تم نقل مقر الأهرام للقاهرة في نوفمبر عام ١٨٩٩، لتؤكد على مركزية العاصمة المصرية، التي تبلع كل شيء جميل يتم الاعتناء به ورعايته وعندما يكبر تخطفه المركزية المقيتة، هكذا تم التعامل مع عروض واستديوهات السينما، التي أقيمت أولا في الإسكندرية، ثم استأثرت بها القاهرة بعد ذلك.

من يرد الشهرة والأضواء من أبناء الإسكندرية ومبدعيها وصحفييها وفنانيها وكتابها، عليه التوجه إلى القاهرة والإقامة فيها، والدخول في علاقات طويلة محسوبة ومعقدة، ليظل له الوجود الإعلامي والزخم الثقافي، إلا أنا .. فقد وجدت في الإسكندرية ضالتي وجنوني ومحبتي وحماقاتي وشهرتي وبحاري وشهوتي ونضالي وكبوتي.

وجدت فيها درية إبراهيم اليسارية النحيفة المختفية خلف جدران السجن، ومنى فارس المقتحمة والمنفتحة على أبواب الغرب، مريمية الوجه والعينين، هيباتية الفكر والتحليل، متوسطية الجسد، عاشقة السينما والمسرح والموسيقى والفن

التشـكيلي والـرقص والشـعر النـزاري، خريجـة الصـحافة والإعلام. تحلم بأن تصدر مطبوعة ثقافية فنية متنوعة من مدينتها التاريخية الأثيرة التي احتضنت كليوباترا السابعة، فلعبت بأدمغة وعقول وقلوب اليونانيين والمصريين، والرومانيين، لولا موقعة اكتيوم البحرية عام ٣٠ قبل الميلاد التي أطاحت بأحلامها وآمالها بأن تحكم العالم القديم بسبب غباء انطونيو وانغماسه في شطآن العسل، فالتصق عقله وتفكيره وأناملـه بجسد كليوباترا. صار للعشيقين حكايات وروايات داخل "حمام كليوباترا"، حتى فرقهما الموت.

تسألني منى هل ترى أوكتافيوس أغسطس أوقع بمارك أنطونيو ليسود له العالم القديم، مثلما أوقع جورج بوش بصدام حسين، ليطيح به وتحتل أمريكا العراق، فتضمن تدفق البترول وثروات الخليج؟

هكذا ترى منى فارس وتنظر إلى العالم القديم الذي منحها الشموخ والكبرياء. أعطاها البحر جبروته ووداعته، هدوءه وثورته، وأعطتني قلبها وراحتيها كي أقبلهما في كازينو الشاطبي على مرأى من الرمال والأمواج والقمر، وأبت أن تعطيني جسدها المتوسطي.

حلمتُ مع منى فارس . منذ أول لقاء معها بقصر الثقافة . بمجلة ثقافية كبرى أكون رئيس تحريرها، وتكون هي ذراعي الأيمن والأيسر، ونبضي وعروقي، شراييني وشروقي، وكلماتي المحرَّرة على بوابة الأمل والوطن الجميل.

تلكزني منى فارس: هل مجلة مثل هذه ستنجح في الإسكندرية، أم لا بد من القاهرة، شئنا أم أبينا؟

أصحو من أحلامي، قائلا: لا بد من ممول يؤمن بضرورة عودة الإسكندرية عاصمة للثقافة المصرية أولا قبل أن تكون عاصمة للثقافة العربية ثم العالمية، وهو ما حلم به مؤسسها الإسكندر الأكبر.

ـ رأس المال دائما جبان خاصة أمام المشاريع الثقافية التي لا تدر عائدا أو دخلا، ولكن علينا أن ندرس بجدية أسباب إخفاق الصحافة السكندرية، التي لم تشد حتى أبناءها. أضافت: الإسكندرية دولة في حد ذاتها، يسكنها أكثر من ٦ ملايين، لو تحمس ربع مليون فقط، ووجد ضالته في صحافة سكندرية حقيقية، وفي مجلة ثقافية محترمة تعبر عن الواقع الثقافي والفني والأدبي السكندري لصارت صحافة ناجحة. ما رأيك أن يمولنا أحد الأحزاب؟

أحزاب كثيرة في البلد، قليلها مشهور، ومعظمها مغمور، فأي حزب يا منى تريدين أن ننتمي إليه ليمول حلمنا ومشروعنا، هل سنخضع لإرادة الحزب واتجاهه السياسي ووجهة نظره التي ربما تتعارض مع وجهة نظرنا، هل الأحزاب تهتم بالثقافة والفنون على النحو الذي يحقق طموحاتنا ويشبع رغباتنا؟

بعد أيام التقينا في كازينو الشاطبي، جاءت متهللة الوجه، يطيّر هواء البحر المنعش خصلات من شعرها الأسود الفاحم، تداعبها رائحة اليود، في يدها عودان من الذرة المشوي التي تعرف تماما كم أحبه، خاصة بعد أن قرأت في قصيدتي الأخيرة:

"وشاوي الذرةْ ..

يخبئُ ما نضج الآن من أجلنا

ومقعدُ حبٍّ .. أقيم لنا

فما خطبُنا ..

وأنت هناك .. وقلبي هنا"

قبل أن تجلس في مقعدها المفضل، منحتني قبلة على جبيني قائلة بخفة دمها المعهودة: هذا هو ما يخبئه شاوي

الذرة لنا، وهذا هو مقعد حبنا، وأنا هنا. جلست وقالت: عندي لك خبر يجنن!

– خير!

– وجدت الحزب الذي سيموّل جريدتنا.

– ممتاز .. ما هو؟

– الحزب في القاهرة وله مكاتب في الإسكندرية!

– ما اسمه؟

– حزب الوفد

– حزب كبير طبعا، ولكن كيف؟

– كيف .. سيبها عليّ.

– نعم يا حبيبتي .. ولكن لا بد أن أعرف كل حاجة، ما دمت سأصير رئيس التحرير.

– افهمني .. في البداية لن تكون رئيسا للتحرير، ستكون مشرفا أو مسئولا عن الصفحة الثقافية بالجريدة.

– يعني الجريدة ليست ثقافية في الأساس؟

– حاليا صعب أن تكون هناك جريدة كاملة ثقافية، لكن دعنا نتدرج، يعني نأخذ صفحة ثقافية ثم صفحتين، إذا نجحنا نحولها إلى جريدة ثقافية بالكامل يصدرها الحزب،

obeikan.com

ستكون خطوة تحسب له. خاصة أن الحزب الكبير لا يصدر جريدة ثقافية متخصصة.

– الحزب الكبير لا يحتاج جريدة ثقافية متخصصة، فلديه مجلات الدولة الثقافية وهيئة قصور الثقافة بإصداراتها وهيئة الكتاب بمجلاتها، والمجلس الأعلى للثقافة بلجانه وجوائزه ومؤتمراته.

– هذه مجلات دولة وليست مجلات الحزب الكبير!

– الدولة هي الحزب الكبير، والحزب الكبير هو الدولة!

– خلينا في مشروعنا.

– خلينا كده على طول ماشيين ..

– هههههههه ..

ضحكتها المجلجلة ومزاجها الرايق يدلان على ثقة وأمل وتفاؤل.

– ما خطتك يا مُنى؟

– .. سنلتقي رئيس تحرير الجريدة الشابة المنبثقة عن الجريدة الكبيرة في مكتبه غدا في القاهرة الساعة ١٢ ظهرا؟

– وأنا معك!

obeikan.com

- طبعا فقد حدثته عنك واقترحت عليه أن تشرف على الصفحة الثقافية بالجريدة الجديدة، لم يعترض، بل على العكس هو يعرفك، فهو أديب يكتب الرواية ويتابع المجلات الثقافية، ولكن السياسة أخذته من الأدب.
- لكني لست عضوا في الحزب، ولن أكون.
- أنا نفسي غير عضوة في الحزب، وربما أكون.

****

في الصباح الباكر التقينا في سيدي جابر. ركبنا سيارة سيرفيس الى العاصمة الأولى، مقر حلمنا وجريدتنا الوليدة. وجوه أعرفها وأسمع عنها، وجوه لأول مرة أراها، لكن منى تعرفهم جميعا، تعرّفني عليهم قائلة: الأستاذ يوسف عبدالعزيز رئيس الصفحة الثقافية.

بعد أن انتظمنا في الجلوس على مائدة مستديرة في قاعة واسعة من قاعات الفيلا مقر الجريدة، دخل رئيس التحرير الشاب، أبيض الوجه متورد الخدين، صافحنا جميعا، قال لي

obeikan.com

مبتسما: حمدالله على السلامة، ما أخبار الإسكندرية؟ ثم أثنى على مُنى أنها عرفت أن تستدرجني إلى القاهرة.

تحدث رئيس التحرير الشاب طويلا بلثغته الجميلة، شرح أسباب تأسيسه للجريدة الشابة الجديدة، فالحزب يؤمن بالشباب ويؤهل قيادات منهم لتحمل المسئولية السياسية، وتكوين كوادر شبابية حزبية، في جميع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والإعلامية.

ثم قام بتوزيع الأعباء الصحفية على المجتمعين. كلفني رسميا بالإشراف على الصفحة الثقافية، قال: أنا أعرف أنك ستتعب معنا خاصة أنك تجئ من الإسكندرية – أنت ومنى – في كل اجتماع، سنحاول أن ندبر لكما بدل سفر يعوضكما عن المصاريف التي تتحملانها، ثم موجها حديثه للجميع: كما تعرفون لا يوجد لدينا بدل اجتماعات، فنحن في بداية الطريق، تحملوا معنا قليلا حتى تقف الجريدة على رجليها.

أخرجتُ من حقيبتي الصغيرة بعض الأعمال الأدبية لبعض الأدباء الشباب التي كانت تصلني عندما كنت رئيسا لتحرير مجلة "فاروس" دفعت بها للنشر في الصفحة الثقافية. أخرجتْ

منى مقالا لها عن الفن التشكيلي وتحديدا عن لوحة "بنت البلد" للفنان د. حامد عويس، دون أن تكون صورة اللوحة موجودة. اقترحت عليها أن ترفق بالمقال صورة للوحة التي تتحدث عنها، فاستحسنت الفكرة، وقالت: لكن الوقت ضيق، العدد الجديد سيصدر قبل اجتماعنا القادم، ولكن يهمني معرفة رأيك في المقال، وأعطتني صورة منه.

تقول منى فارس عن لوحة "بنت البلد:"

"إحدى البنات السكندريات اليافعات ترتدي فستانا يميل إلى زرقة البحر، يبرز جمالها، وحذاء أسود خفيفا يرشق من خطواتها، تتأبط شنطتها المدرسية تحت ذراعها اليمنى وتقبض بيدها اليسرى على أحد الكتب ذي غلاف أحمر في تأكيد من الفنان د. حامد عويس على مأثرة الجدية في تحصيل العلم، رغم تشبع العمل بفيض من دلال الصبايا.

يحتضن المشهد من الخلف جوا سكندريا خالصا حيث نلاحظ سيدتين بحريتين أو من حي بحري المعروف في الإسكندرية بملاءتيهما اللف، كما نلاحظ أحد الصيادين الجالسين وبعض المراكب بأشرعتها وعمودا كهربائيا مضيئا رغم حلول النهار.

الفتاة في مقدمة اللوحة تبدو ممثلة لجيل جديد يمضي في خطاه الواثقة نحو العلم متلفعة بالأمل في غد مشرق. في عينيها يبدو الإصرار والتحدي، بينما المرأتان في خلفية اللوحة من جيل قديم، تتلفعان بالملاءة السوداء وتتثرثران كعادة النساء اللائي لا يشغلهن سوى مفردات المعيشة اليومية والحكاوي والقيل والقال.

لعل انطلاق الفتاة إلى الأمام بملابسها غير التقليدية وطريقة تصفيف شعرها يشكل تناقضا حادا مع ثبات المرأتين أو وقوفهما وجها لوجه بملابسهما التقليدية في جولة الحكي والثرثرة. من بعيد يراقب الصياد الموقف، متأملا انطلاق الفتاة نحو المستقبل، هنا تبدو الملحمة الدرامية التي تتصارع فيها الأضداد.

وكعادة الفنان محمد حامد عويس في معظم أعماله ولوحاته فإنه يطلق الحمام وأواني الورد على بلاط الصورة كنطفة سلام متكررة لديه مع النفس والأهل والوطن.

يقول الناقد الفني محمد كمال عن لوحة "بنت البلد" لحامد عويس إن هذا العمل هو بداية المعادلة عند الفنان بين

صرامة التعبير وليونة المشاعر، بين متانة التكوين وطراوة الوجدان، بين جدولة العقل ونداوة الروح.

إن اللغة التصويرية في مشوار الفنان عويس بدأت تكتسب السمت النحتي داخل مربع الصورة مع احتفاظه بقدر وفير من العاطفة السيالة تجاه العناصر الدافئة وهو ما يبدو في العمل الذي أمامنا والذي اختار الفنان له اسم "بنت البلد."

رأيت صورة منى فارس في "بنت البلد"، بإصرارها، تحديها، نشاطها، حبها للعلم والثقافة، يبدو أنها شعرت بذلك فاختارت تلك اللوحة غير المعروفة على نطاق واسع. الأشهر عندما نتحدث عن السكندريات أو بنات البلد، هي لوحة محمود سعيد "بنات بحري."

****

صدرت أربعة أعداد من الجريدة، حضرتُ مع منى أربعة اجتماعات أسبوعية، ثم توقفت الجريدة الشابة عن الصدور.

عرفت أن رئيس التحرير الشاب كان على خلاف مع الباشا

رئيس الحزب، وأنه استخدم الجريدة الجديدة كورقة ضغط على الباشا لينفذ مطالبه.

عندما رأى الباشا الجريدة الجديدة تنتشر بين الناس وخاصة لدى الأوساط الشبابية، اجتمع برئيس التحرير الشاب متورد الخدين، وافق على مطالبه داخل الحزب، شريطة أن يتخلى عن إصدار الجريدة، وقد كان.

قلتُ لمنى: حتى الأحزاب غير مضمونة. إنهم يلعبون بنا.

- ولا يهمك. أنا أمامي فرصة عمل في مجلة ثقافية شهرية يصدرها حزب التجمع.
- حزب تاني! .. من "الوفد" إلى "التجمع" يا منى؟
- المهم يا يوسف أن نكون على الساحة!
- نكون .. بمبادئنا وليس بمبادئهم.

قفزت إلى ذهني صورة "خشبة عمود عبدالواقف" أو درية إبراهيم التي لا أعرف عنها شيئا منذ أن تم اعتقالها، ولا أعلم هل هي على قيد الحياة، أم توفيت، على الرغم من كل شيء كانت صاحبة مبدأ، نختلف أو نتفق معها لكنها كانت مخلصة لرفاقها.

خشيت أن أحكي عنها لمنى فارس حتى لا تظن أنه حب قديم يقفز إلى ذهني، وأنا معها متعانقي الأيدي ملتصقي الفخذين في رحلة العودة من القاهرة إلى الإسكندرية.

obeikan.com

مجلة نسائية

مع سعيها وطموحها وجنونها بالعمل الصحفي جاءتها فرصة عمل في الخليج، مجلة نسائية جديدة تصدر هناك، تطلب صحفيات لهن خبرات في مجال الصحافة وفي مجال الكتابة الإبداعية.

قالت منى: الخليج هو الحل.

. إذًا ستسافرين!

. لن أضيع الفرصة إذا جاءت.

. وأنا؟

. لمّا أضع رجلي هناك سأقترح أن تنضم إلينا.

. إنها مجلة نسائية.

. أكيد للرجال مكان بها.

. لا تحكمي على شيء لم تختبريه بعد.

. أنا واثقة.

. سنرى عندما تذهبين.

بعد مقابلات شخصية واختبارات شفوية وتحريرية، كانت فرصة منى أقوى من غيرها، فالمجلة تريد الانفتاح على الفنون السينمائية والمسرحية وإجراء الحوارات مع النجوم وتتبع أخبارهم وأخبار أفلامهم.

اقترحتْ رئيسة تحرير المجلة النسائية الخليجية على منى أن تكون مراسلة لهم في القاهرة، حيث الفن وأهله، فالقاهرة هوليود الشرق، تحتضن كبار الفنانين والمخرجين والممثلين الناشئين، مثلما تحتضن الفنانين العرب.

قالت منى لرئيسة التحرير: إنها من الإسكندرية، وهذا العمل يتطلب الإقامة الدائمة في القاهرة.

ـ سندفع لكِ الراتب الذي كنت ستأخذينه في الخليج وعليك أن تدبري أمرك في القاهرة، وجودك في القاهرة أكثر فائدة لنا من وجودك في الخليج.

. سأحتاج إلى مصور صحفي معي في حفلات النجوم وفي افتتاح أفلامهم وفي حواراتهم ومقابلاتهم وسهراتهم الفنية.

. استعيني بمن تشائين، وحددي أجر المصور، لنصرفه على الفور بعد نشر كل موضوع.

وافقت منى على العمل بالقاهرة، وتعاقدت مع رئيسة تحرير المجلة النسائية، وعرضتْ عليَّ أن أكون أنا المصور الذي يصاحبها في كل مقابلة أو حفل أو حوار فني، فرفضتُ على الفور.

توقعت منى فارس أن أرفض تلك الوظيفة، ولكنها أصرت على الاستمرار في التجربة الصحفية الجديدة. استأجرت شقة مفروشة في شارع طلعت حرب. اختارت الحجرة الكبيرة لتكون مكتبا للمجلة، وللزيارات واللقاءات الفنية والصحفية، أما الحجرتان الأخريان، فواحدة لنومها، والثانية لي إذا عدلت عن تفكيري، أو حتى إذا زرتها وأحببت أن أبيت في القاهرة، فالمكان موجود حسب تقديرها.

مازلت متحفظا مع منى ولم ألمس جسدها المتوسطي البض، فلم نمارس في لقاءاتنا سوى ملامسة اليدين والضغط على الكفين، والقبلات السريعة التي لا تشفي نداءات الجسد الفوار.

ولكن عندما أخبرتني أنها أعدت حجرة لي في شقتها الجديدة ومقر المجلة في هوليود الشرق، أخذت الخيالات الشيطانية تداعبني.

ظللت شهورا في الإسكندرية لم أراوح مكاني، وبدأ اسم منى فارس يلمع في الصحافة الخليجية، فقد نجحت في حواراتها الصحفية المصورة مع كبار الفنانين والمخرجين المصريين. ارتفع توزيع المجلة في السوق المصرية والخليجية، أخذت تنافس مجلات فنية مصرية مثل "الكواكب" و"الفن السابع" وغيرهما.

صارت منى فارس نجمة مثل نجمات السينما ما أن تحل في مكان إلا ويستقبلها المكان ومَن في المكان بكل ترحاب وود. في أحد اتصالاتها التليفونية أخبرتني أنها زعلانة مني لأني لم أزرها في مكتبها ومنزلها بشارع طلعت حرب، ولو مرة واحدة طيلة هذه الشهور الفائتة. تعللت بانشغالي في أمور عديدة. كانت المفاجأة التي كشفت عنها في اتصالها أن أحد المخرجين عرض عليها المشاركة في فيلم سينمائي جديد.

ذكرتُها بمقولتها: لن أضيع الفرصة إذا جاءت.

ـ أنا كنت أقصد فرصة العمل في المجلة الخليجية وليس التمثيل.

ـ التمثيل يفتح لك أبوابا أكثر شهرة وأكثر مالا من العمل الصحفي سواء في الخليج أو القاهرة.

. يعني رأيك أن أترك العمل الصحفي وأتفرغ للسينما؟

. فرصة ربما لن تتكرر.

. متى ستأتي إلى القاهرة.

ـ لن آتي، وسأحرص على مشاهدة فيلمك الجديد، وأفلامك وربما مسرحياتك بعد ذلك.

obeikan.com

حل يبحث عن مشكلة

هل منى فارس هي التي رشحتني للعمل في المجلة الثقافية الخليجية الكبرى، بعد أن أصبحتْ محط أنظار واهتمام الجميع، فيلما تلو فيلم، ومسلسلا تلفزيونيا إثر مسلسل تلفزيوني؟

لم تنس منى أنني رفضتُ العمل معها مصورا صحفيا في بداية حياتها الصحفية، ولم تنس أيضا أنني أهملت زيارتها في شقتها الجديدة في شارع طلعت حرب، والتي خصصت لي فيها حجرة أرتاح بها عند قدومي من الإسكندرية.

كنت أتمناها في خيالي وفي صحوي وفي نومي، وفي هذياني وسكوني، كنت أكتب فيها القصائد دون أن تعرف، أو تعرف ولم تحدثني عندما ترى قصيدة منشورة في جريدة الأهرام، التي تحرص على تصفحها يوميا، أو في إحدى

المجلات الثقافية التي تحرص على متابعتها حتى بعد أن أصبحت نجمة مشهورة.

لم تزل منى تتصل بي ولكن على فترات متباعدة، وبعد تلك الشهرة العريضة التي أدخلتها كل بيت مصري كنجمة سينمائية جميلة مثقفة محبوبة. اقترحتْ في اتصال سريع قبل مغادرتها لزيارة إحدى دول الخليج، أن تؤسس مجلة ثقافية فنية مصورة، أتولى رئاسة تحريرها، وتكون هي رئيس مجلس إدارتها، فاسمها على المجلة يضمن توزيعها وانتشارها في مصر والبلاد العربية.

قالت: أخيرا سنحقق حلمنا يا يوسف في وجود مجلة ثقافية فنية محترمة سنصرف عليها جيدا، ستتنافس المجلات الثقافية الملونة ذات الورق المصقول التي تأتينا من الخليج. سندفع مكافآت لن تقل عن مكافآت مجلات الخليج للكتاب المصريين، لنستقطبهم إلينا.

للمرة الثانية تصطدم منى فارس برفضي. قالت: لا ترد عليَّ الآن فكر جيدا، هذا هو حلمنا الذي كنا نحلم به منذ جلساتنا في كازينو الشاطبي. أم نسيته، وظننت أن السينما والشهرة والمسلسلات التلفزيونية قد أنستني هذا الحلم؟

وأضافت: عموما أنا ذاهبة إلى الخليج، لحضور العرض الأول لفيلمي الجديد هناك. بعد عودتي سآتي إليك في الإسكندرية ونذهب الى كازينو الشاطبي لنجلس معا زي زمان.

ـ كازينو الشاطبي يُهد الآن، وتُهد معه ذكرياتُنا وأحلامُنا البكر.

ـ ليس معقولا يا يوسف.. انت اليوم (أوفر قوي)، أنت حل يبحث عن مشكلة. عموما سأبحث لك عن فرصة عمل في مجلة خليجية لأني أثق في قدراتك ومواهبك الأدبية والثقافية والصحفية عملا بالعيش وكيزان الذرة التي كنا نقزقزها في كازينو الشاطبي. أنا مازلت أحن إلى هذه الأيام البسيطة، وذلك في حالة إذا رفضت أن تكون رئيس تحرير المجلة التي أريد إصدارها في مصر.

. أنا لست عضوا في نقابة الصحفيين.

ـ ليست مشكلة .. سنحلها إذا أردت وتحصل على عضوية النقابة، فلديك الأعمال الصحفية الكثيرة المنشورة في مجلات وجرائد متعددة، نقدم صورا منها، وبعض الأوراق المطلوبة،

مع توصية معتبرة، وتحصل على العضوية. ألم أقل لك إنك حل يبحث عن مشكلة.

عادت منى فارس من رحلتها الخليجية، وشاهدتُ أصداء زيارتها في المحطات الفضائية، وقرأت عنها في المجلات والجرائد المحلية. لكنها لم تتصل بي كما أخبرتني.

ولكن اتصل بي رئيس تحرير مجلة ثقافية خليجية لأرسل له قصائد ينشرها في المجلة، وبعض المقالات الأدبية والنقدية.

للوهلة الأولى ظننت أن هناك توصية من منى فارس، فترددت في البداية أن أرسل له شيئا. سألته من أين أتى برقم تليفوني، قال: أحبابك كثيرون هنا يا أستاذ يوسف، ويشرف مجلتنا أن تنشر لك أعمالك. بعد ذلك سيكون لنا أحاديث كثيرة معا.

في اليوم الثاني أجده يتصل بي مجددا قائلا إنه يعرف أنني أقيم في الإسكندرية، ولا يوجد مراسل للمجلة في عروس البحر المتوسط، وأخبرني أن مكتبة الإسكندرية أرسلت له دعوة لحضور مؤتمر دولي عن "تعارف الحضارات"، ولكنه لن يتمكن من الحضور بسبب سفره إلى مؤتمر آخر في المغرب في التوقيت نفسه، ولكنه سيعتمد عليّ في تغطية

صحفية متميزة ومخصصة للمجلة، مع صور كثيرة للجلسات والندوات والمداخلات التي ستقام في مؤتمر المكتبة.

أسعدني ودُّه وارتحت إلى أسلوبه في الحديث معي، لم ألحظ في كلامه أي تعال أو نرجسية رؤساء التحرير، بل كان يخاطبني بـ "أستإذًاا". ولكن تذكرت الشاعر فاروق جويدة عندما كنت أزوره في مكتبة بجريدة الأهرام.

في إحدى زياراتي له، كان عنده رئيس تحرير صحيفة خليجية يومية يعرض عليه العمل هناك مشرفا على القسم الثقافي بالجريدة، لكنه رفض. عرض عليه الرجل مرتبا شهريا مغريا وامتيازات أخرى، لكنه تمسك بالرفض. غادر الرجل مكتب جويدة وهو يشعر بالحزن والأسف.

بعد أن غادر الرجل سألت الشاعر عن سر سبب الرفض، قال لي: إن رئيس التحرير هذا يقول لي الآن يا أستإذًاا ويا أستاذ وأيها الشاعر الكبير، لو ذهبت هناك واشتغلت بالجريدة، سوف يقول لي: يا فاروق! أو: يا أنت .. دون حتى ذكر الاسم.

أنجزت المطلوب على وجه الدقة. أجريت حوارات ولقاءات صحفية مع بعض المشاركين والضيوف المشاركين في

مؤتمر المكتبة. أرسلت المادة والصور على إيميل المجلة. لم أتلق ردا، أو اتصالا تليفونيا.

صدر العدد التالي من المجلة الشهرية، وبه ملف كامل عن مؤتمر "تعارف الحضارات" ومقدمة بقلم رئيس التحرير للملف، مما أثلج صدري وأبهجني.

بعد يومين من صدور العدد، ووصوله إلى مصر، تلقيت اتصالا هاتفيا من رئيس التحرير يعرض علي العمل محررا بالمجلة.

هل تم هذا بإيعاز من منى فارس، أم بسبب جودة التغطية الصحفية لمؤتمر مكتبة الإسكندرية؟ هل كان تكليفي بعمل تلك التغطية هو مجرد اختبار من رئيس التحرير لقدراتي الصحفية؟

انتهيت من تجهيز أوراقي وختم شهاداتي، ومن الكشوفات والفحوصات الطبية، ومن رحلات السفر بين الإسكندرية والقاهرة، وداخل صفوف ودهاليز السفارة الخليجية ومكاتب وزارة القوى العاملة والهجرة بمجمع التحرير. وفي الخطوة الأخيرة قالت لي موظفة المجمّع: كده تمام. تستطيع

الحصول على تصريح العمل من عندكم في الإسكندرية ثم السفر للعمل في أي وقت تحدده.

اتصلتُ بمنى فارس وأخبرتُها بالسفر إلى الخليج، وجدتها على علم بكل تحركاتي، ولامتني أن أكون موجودا بالقاهرة ولا أمر عليها أو اتصل بها تليفونيا.

تعللتُ بعدم وجود الوقت الكافي خاصة بعد أن تركتْ شقة شارع طلعت حرب القريب من مجمع التحرير، والانتقال إلى إحدى فلل مدينة الرحاب البعيدة عن وسط البلد.

أخذت تحدثني عن جمال الرحاب وفلل الرحاب وهدوء الرحاب، واقترحتْ أن أزورها هناك ليلة السفر من مطار القاهرة، حيث تقوم بتوصيلي بسيارتها المرسيدس إلى المطار. فأخبرتها إنني سأركب من مطار برج العرب بالإسكندرية، وليس من مطار القاهرة الدولي.

لم تغضب، وذكرت أنها ستتابع كل عدد من أعداد المجلة الخليجية لترى بصماتي ومقالاتي واستطلاعاتي وتحقيقاتي وأشعاري بها.

قلت لها: على رسلك، بهذه الطريقة لن يكتب أحد في المجلة غيري.

. تستحق مجلة لوحدك فعلا.

ـ ألا تحنين للكتابة الصحفية، أم أن السينما والمسلسلات التلفزيونية أخذتك من الصحافة؟

ـ سؤال ذكي لم يسأله لي أحد من الصحفيين أو المحررين أصحاب الصفحات الفنية بالجرائد والمجلات، ولا حتى أصحاب البرامج التلفزيونية التي يستضيفونني بها.

. والإجابة؟

. الإجابة أنني أحن إلى الكتابة الصحفية فعلا، ولكن لا أجد الوقت الكافي لها. ربما بعد التقاعد من الفن والتمثيل.

. إذًا لن تكتبي شيئا، لأنك لن تتقاعدي.

obeikan.com

غريب على الخليج

لم أجد أحدا في انتظاري في مطار الوصول إلى الخليج. أخذت أحدق في وجوه المنتظرين خارج صالة الوصول، لم أعرف أحدا، عدت لأحدق في الأوراق واللافتات المرفوعة بالعربية والإنجليزية ربما أجد اسمي على إحداها، لم أجد شيئا.

معظم الواقفين من الجنسيات الآسيوية خاصة الهنود والفلبينيين، مع عدد قليل من المصريين الذين يستقبلون ذويهم أو أصدقاءهم المسافرين أو العائدين إلى الخليج، وليس معي خط خليجي لأتصل برئيس التحرير.

بعد أن بدأ عدد الواقفين في الانخفاض التدريجي بخروجهم من صالة المطار، وجدت شابا مصريا يتقدم نحوي عارضا خدماته أن يقوم بتوصيلي إلى المكان الذي أرغب، فقد لاحظ حيرتي وقلقي واضطرابي.

obeikan.com

شكرته وقلت له: أنا غريب هنا ولا أعرف المكان الذي سأتوجه إليه، المفروض أن يكون هنا مندوب المجلة التي سأعمل بها ليستقبلني، فهذه هي أول مرة آتي إلى هنا.

. نورت الخليج .. هل لديك رقم تليفون هذا المندوب لأتصل به؟

. لا .. لكن لدي رقم تليفون رئيس التحرير.

. حسنا .. ما هو الرقم؟

اتصل الشاب المصري من جهاز تليفونه على الرقم الذي أمليته، ثم أعطاني الجهاز.

رد علي رئيس التحرير، أخبرته أنني في المطار منذ أكثر من ساعة، ولم أجد أحدا في انتظاري.

أخبرني أنه كلف مندوب المجلة بالحضور مع مندوب وزارة الثقافة والإعلام لاستقبالي وتسكيني بفندق ٥ نجوم، ووضع سيارة وسائق تحت طلبي، لحين تدبير شقة سكنية مناسبة اختارها بنفسي، وشراء السيارة التي أرغب. ثم طلب أن أظل في مكاني ومعي الهاتف ليطمئنني على الأمور والتحركات، أخبرته أن جهاز التليفون لشخص متطوع، وليس ملكي.

الشاب المصري الطيب كان يسمع المحادثة من طرفي، ضحك قائلا: أنا معك حتى الصباح، ولا يهمك!

بعد خمس دقائق حضر إلى المكان شاب هندي يحمل لافته بها اسمي، ناديته، أخبرني أنه كان يقف بالداخل بعد مكتب الجوازات مباشرة ليأخذني إلى قاعة كبار الزوار بالمطار، لكنه لم يجدني.

خارج المطار وجدت سيارة فارهة في انتظاري بها مندوب وزارة الثقافة والإعلام الذي رحب بي وبالعمل بالمجلة التابعة للوزارة، وأنني مكسب لهم، وأن اسمي سبقني قبل الحضور إلى بلاده.

شكرته على مجاملته اللطيفة، وانطلق السائق إلى فندق قريب من مقر المجلة، أفهمني مندوب المجلة أنني سأقيم ما بين أسبوع وعشرة أيام بالفندق لحين الحصول على الشقة المناسبة لمعيشتي، وطلب مني أن أنسق المواعيد مع السائق ليحضر لي سواء للذهاب إلى مقر المجلة، أو العودة، أو أي تحركات ومشاوير أخرى.

في الصباح حضر السائق الهندي في الموعد المحدد، ذهب بي إلى مقر المجلة، صعدت إلى مكتب رئيس التحرير

بالدور السابع، لم يكن موجودا، ولكن سكرتيرته اللبنانية استقبلتني بترحاب شديد، وبكلمات المجاملة اللطيفة. بعد تناول فنجان القهوة اصطحبتني إلى حجرة مكتبي بالدور السادس.

أثناء حديثي مع علياء خريجة الجامعة الأمريكية في رأس بيروت، اكتشفتُ أنها تكتب قصيدة النثر، تحفظ قصائد لنزار قباني وسعيد عقل وبشارة الخوري (الأخطل الصغير) ومحمد الماغوط، تعشق فيروز . ككل اللبنانيين . تحب نجاة الصغيرة، تعيش أجواء فيلم "أبي فوق الشجرة" الذي صوِّر معظمه في الإسكندرية، وتردد أغنية "جانا الهوا" التي غنَّاها العندليب مع نادية لطفي في لبنان، أرد عليها بأغنية "الهوا هوايا" من الفيلم نفسه. تضحك علياء ضحكة لبنانية عالية، وتقول: يبدو أنك فنان.

. أنا شاعر يقدس الجمال.

رغم جمالها الأخاذ وشعرها الأصفر الذي يلفت من أول وهلة، ونحافة جسمها- إلا أن علياء الزغبي لم تبلغ نحافة "خشبة عمود عبدالواقف" التي لم أر أنحف منها في حياتي، حتى الكوريات كنَّ أسمن منها.

كانت الحجرة التي ستكون مكتبي واسعة ومجهزة، عيبها الوحيد أنه لم يكن لها باب مستقل، أي أنها كانت منفتحة على حجرات الزملاء المحررين الآخرين التي بدون أبواب أيضا، ما يفصل كل حجرة عن الأخرى هو حاجز (برفان أو قاطع) معدني من الألوميتال.

فهمتْ علياء ما أود قوله، عندما لاحظت حيرتي وعيني تدور بالمكان، قالت: رئيس التحرير لا يريد أن يغلق كل محرر الباب على نفسه، ويقبع بالداخل.

. كأنه يريد صالة تحرير، يتجمع فيها المحررون، أنا أفضِّل أن يكون لي مكتب خاص ولن أغلقه على نفسي.

ـ تفاهمْ معه في هذا الأمر عندما يحضر على الحادية عشرة.

. قلت ضاحكا على طريقة إسماعيل ياسين: .. سأتفاهم!

جلستُ على كرسي المكتب، أتأمل المكان والزمان.

أخرجتُ من حقيبة اللاب توب التي أحملها معي، زجاجة عطر صغيرة وضعتها أمامي على حافة المكتب، لم يكن بها عطر، ولكن بها ماء بحر من شاطئ الشاطبي، وتحديدا من أسفل كازينو الشاطبي المبني على أعمدة حديدية

وخرسانية داخل البحر المتوسط، فكأنك وأنت جالس داخل الكازينو جالس فوق مياه البحر.

عبأت الزجاجة الصغيرة بمياه البحر، وكان مفتش الحقائب بمطار برج العرب يريد مصادرتها لكونها سوائل يُمنع حملها على متن الطائرة، حسب تعليمات منظمة الإياتا العالمية (الاتحاد الدولي للنقل الجوي)، وخاصة بعد انتشار حوادث الإرهاب، فقلت للمفتش: إنها مية بحر!

. أنت أول مرة تسافر خارج مصر؟

. لا .. ليست أول مرة، لكن ستكون أطول مرة.

. داعبني قائلا: هذه مياه بحر، لماذا لم تأخذ أيضا معك من مياه النيل؟ وسمح لي بالعبور بزجاجتي.

رنّ جهاز التليفون الداخلي على مكتبي.

. اتفضل .. رئيس التحرير هلا وصل.

صعدتُ إلى مكتبه، قام مرحبا ومعانقا، اطمأن على سير الأمور بعد أن حادثته ليلة الأمس من المطار.

وجدت شكله في المكتب يختلف كثيرا عن الشكل الذي رأيته في الرحلة الكورية، هناك كان يرتدي البذلة الزرقاء أو الرمادية، كان مهتما بتصفيف شعره الأسود الفاحم، وبشاربه

الذي يذكرني بشارب رشدي أباظة أو كلارك جيبل (بطل فيلم "ذهب مع الريح")، كانت ربطة عنقه يميل لونها إلى الاخضرار مع منديل الجاكيت الأصفر المتدرج، وكان دائم الابتسام والسهر، والاختلاف إلى بار الفندق.

أما هنا فالزي الخليجي أضفى عليه شكلا آخر، كأنه شقيق الرجل الذي كان معنا في كوريا، وليس هو. بدا لي أنه أقصر قليلا من المرة السابقة، العقال والغترة يخفيان شعره الحقيقي، وإن ظهرت بعض سوالفه التي تميل إلى البياض الذي لم يظهر في كوريا، لم يكن ينتعل شيئا في قدميه، كان حافي القدمين يمرح على موكيت مكتبه الواسع والعريض الذي يحتوي على جهازي تلفزيون معلقين على الحائط، وجهاز كمبيوتر مكتبي، وجهاز لاب توب، فضلا عن جهازي تليفون على مكتبه، يبدو أن واحدا للاتصالات الخارجية والدولية، والآخر للاتصالات المحلية أو داخل مبنى المجلة، فضلا عن هاتفين محمولين، واحد داخل جيب ثوبه، والآخر فوق مكتبه.

ثوبه الأبيض لامع البياض، وكأنه يلبسه لأول مرة، وفي جيبه الأعلى رأيت حافة قلم ذهبي، واستطعت أن ألمح به ظلال أكثر من فيزا كارد.

رنّ على جرس (وايرلس) صغير أمامه، دخل الساعي الهندي، أمره أن يأتي بالقهوة والتمر والحلويات.

أخذنا نتحدث في أمور شتى عن الثقافة والإعلام والصحافة وأهم الجرائد الخليجية التي تضارع جريدة "الأهرام" المصرية، وأن بعض الأدباء والمثقفين اتصلوا به حين علموا بخبر قدومي للعمل بالمجلة، وأثنوا على هذا الاختيار، إلى أن وصلنا إلى نقطة المكتب، طلبت منه تخصيص حجرة لها باب يفتح ويغلق، وإنني لن أغلقه.

. آسف .. أنت تعمل على هدم الأسس والقواعد التي أضعها للمحررين أثناء وجودهم بالدوام، إذا وافقت لك على ذلك، فالكل سيطلب الطلب نفسه. سيقولون كما تقولون أنتم بالمصري: اشمعنى!

فشلت مباحثاتي مع رئيس التحرير في أول جولة، وأكد علي أن لا أثير هذه النقطة مرة أخرى، وخاصة في اجتماع مجلس التحرير صباح الغد.

في صباح الغد، وجدت في الاجتماع الزميل الذي التقيته في الرحلة الكورية، سلم علي بفتور شديد، فقررت أن اتجاهله تماما، ثم حضر رئيس التحرير إلى حجرة الاجتماعات، عرّف الزملاء علي وعرفني عليهم قائلا: زميلكم الجديد يوسف عبدالعزيز كلكم تعرفون اسمه طبعا، وهو مكسب للعمل معنا بالمجلة، نتمنى له التوفيق معنا، ثم قام بإعادة تقسيم العمل والأبواب وتكليف كل زميل بباب معين. وطلب مني أن أختار الأبواب المناسبة التي أحب أن أشرف عليها. . الشعر والدراسات والمقالات الأدبية والفنية المتعلقة بالسينما والمسرح وعروض الكتب، وكفاية كده.

اعترض الزميل أيمن شرف (الذي كان معنا في الرحلة الكورية) على اختياري للشعر كي أكون مشرفا عليه، لأنه يتولى هو الإشراف عليه، وليس من حق زميل جديد أن يسطو على حقوق زملائه الأقدمين.

ـ أنا لا أعرف أنك المشرف على الشعر الذي ينشر في المجلة، وكنت أريد الارتفاع بمستوى ما ينشر من قصائد.

اعتبر أيمن أن هذا الكلام إهانة له، وأنه لا يجيد اختيار القصائد المنشورة بالمجلة، فقال: أنا أحتج على كلام الزميل الجديد. فالمنشور من الشعر هو أجود القصائد التي تصلنا.

ـ ولماذا نختار أجود ما يصلنا، ولا نتصل بالشعراء المعروفين والجيدين أنفسهم ليرسلوا لنا، بدلا من الاعتماد على ما يصلنا بالبريد العادي أو البريد الإلكتروني؟

هنا تدخل رئيس التحرير قائلا إنه على اتصال بالشعراء الكبار في الوطن العربي، ومعظمهم أصدقاء له، ولكنهم ضعيفو الاستجابة، رغم أننا ندفع مكافآت جيدة.

وجدتها فرصة لأوجه كلاما غير مباشر لأيمن شرف فقلت موجها حديثي لرئيس التحرير: نعم أتذكر أنك اتصلت بي قبل فكرة العمل بالمجلة، لأرسل قصائدي لكم.

فهم رئيس التحرير ما أرمي إليه فقال: ولكنك لم ترسل لنا شيئا.

. أرسلت ولكن لم يُنشر شيء.

فنظر إلى المشرف على باب الشعر نظرة ذات مغزى، وقال: عموما نحن هنا لنضع أسسا ومعايير جديدة لننطلق بالمجلة إلى آفاق أكثر نجاحا وأكثر رحابة، وأكثر توزيعا،

رغم أن المجلة تُباع كما تعرفون بأقل من ثمن تكلفتها الحقيقية بكثير، ولولا الدعم الذي تقدمه وزارة الثقافة والإعلام، لما صدرت المجلة من الأساس.

وأضاف: لا أحب أن أرى صراعات وخلافات داخل أسرة تحرير المجلة. اجتماعنا هذا سيكون كل أسبوع، لنتابع تنفيذ ما نصدره من قرارات وتكليفات. نريد اليوم أن نحسم عددا من الأمور. وقام بتوزيع تكليفات جديدة لم أجد منها مهمة الإشراف على قصائد الشعر، فكان هذا هو أول صدام بيني وبين أيمن، وقررت للمرة الثانية تجاهله تماما.

لم تُنفذ أي من التكليفات الجديدة وتقسيم العمل الجديد على المحررين، وسارت الأمور كما هي عليه، جلست أسبوعا كاملا بلا عمل في المجلة. ولكنني خلال هذا الأسبوع استطعت الحصول على شقة وقمت بتأثيثها، كانت المشكلة أن نقودي التي أحضرتها معي من مصر كادت أن تنفد، ولم أحصل من المجلة علي أية سلفة مالية، أو بدل سكن وتأثيث وانتقال.

علمت قبل الحضور من مصر أن مثل هذه البدلات موجودة داخل المرتب الشهري، أو أن المرتب الشهري الذي يأتي من الوزارة، يشمل مثل هذه البدلات.

أخبرت محاسب المجلة برغبتي في الحصول على سلفة مالية، طلب مني أن أتقدم بطلب لرئيس التحرير أولا. كتبت الطلب وسلمته للسكرتيرة، حوّله رئيس التحرير للحسابات للصرف العاجل، ظننت أن الأمر انتهى، لكن أخبرني المحاسب أن الصرف يأتي من الوزراة وليس من المجلة، وعليه سيرسل مندوبا بالطلب لمقر الوزارة، وسيتابع الموقف.

الأزمة المالية تشتد ولم أرد أن ألجأ إلى السلف من الأصدقاء، السلف ليس من عادتي، (السلف تلف) والمحاسب يخبرني أنه يتابع.

أخيرا جاء الرد من الشئون المالية بوزارة الثقافة والإعلام بعدم أحقيتي في صرف سلفة مالية، لأنه لا حساب لي في أحد البنوك الخليجية حتى الآن.

أفادني محاسب المجلة أنه لا بد من فتح حساب بأحد هذه البنوك، لأن المرتب الشهري يحوَّل على البنك، ولا يُسلم

باليد. وشرع في شرح كيفية فتح الحساب والأوراق المطلوبة لذلك.

في هذه الأثناء كدت أن أطلب منه سلفة شخصية، إذا كانت أموره المالية متيسرة، فهو مصري مثلي وأكيد سيشعر بمعاناتي، ولكن تراجعت وظللت على مبدئي "لا سلفة من أشخاص سواء كانوا أصدقاء أو غير أصدقاء".

صعدت إلى مكتبي وجلست مهموما، رغم أنني بلا عمل تقريبا. أمسكت بزجاجة الماء الموجودة على طرف مكتبي، فتحتها وشممتها، فحضرت الإسكندرية كلها، وهاجرت معي ببحرها ورمالها، شمسها وناسها، ازدحامها ومقاهيها، بنات لياليها، وعماراتها الشاهقة التي شوهت الكورنيش، وكتبت:

غنيتُ غربتي

من منكمو..

غنّي

لضيعةِ الأحلامِ والطريق

لضيعةِ الصديق

من منكمو ..؟

البحرُ ..

في فمي
واسكندريةُ المهاجرةْ
تبيتُ في دمي
وتستحمُّ في ضلوعي
وترتمي
على رمالِ
غربتي!

تذكرت منى فارس، وتدحرجت دمعات من عيني سالت على خدي، هل أتصل بها، وأشرح لها الموقف. تراجعت خشية أن تظن أنني أطلب منها سلفة مالية.

دخل عامل البوفيه الهندي دون أن يدقَّ على الباب، فتذكرت أنه لا يوجد باب لمكتبي من الأصل، وضع أمامي فنجان القهوة الذي لم أطلبه، نظر إلي وقال: ايش في بابا؟ ليش بابا يبكي؟

. ما في سوريش .. ما في!

. بابا يبي (يريد) فلوس؟

obeikan.com

فهم الهندي ما أعانيه تماما، بينما لم يفهم المصري، ويبدو لأنه قديم في المكان، يعرف معاناة الجدد من أمثالي.

أخرج سوريش مبلغا من المال وضعه أمامي هو يهز رأسه يمينا ويسارا، قائلا: لحين يجي (يأتي) فلوس بابا. أنا عارف أن بابا جديد هنا، وبعد واحد شهر أو اثنين شهر أنت ترجّع فلوس بابا. ما في مشكلة.

شكرته وقمت أعانقه لجميل شعوره وإحساسه، وفي الوقت نفسه رفضت أخذ المبلغ، تمسكا بمبدئي.

في صباح اليوم التالي، فوجئت بوجود زميلي منسق المجلة، في حجرة مكتبي أثناء مناجاتي لزجاجتي، قال لي: سرعان ما عانيت من الغربة، الوقت لا يزال طويلا، ولكن أنا معك أن الأسابيع والأشهر الأولى هي أصعب شيء في الغربة، وأضاف ضاحكا: ولكن ليس معنى ذلك أن تتحدث مع زجاجة عطر.

ابتسمت وقلت: هذه ليست زجاجة عطر، لكنه البحر في أحشائه الدرّ كامن، الدرّ هنا ليس اللغة العربية كما أراد الشاعر حافظ إبراهيم، لكن الدر في زجاجتي هو الإسكندرية، وأخذت أقلب في الزجاجة وأرجها لتظهر فقاعات

هوائية بداخلها، فقلت: هذه الفقاعات هي المباني الحديثة والأبراج التي شوهت وجه المدينة المتوسطية.

فتحت الزجاجة وقلت له: استنشقْ هواء الإسكندرية وعطرها وتاريخها وسحرها، خُذ نفسا عميقا، يدخل اليود إلى رئتيك فينظفها من آثار التدخين وعوادم السيارات، وجميع وسائل المواصلات.

وجدته مستمعا طيبا فشرحت له ما أعانيه، ويبدو أنه كان على علم بمحادثتي مع سوريش الهندي بالأمس، فقدم لي حلا ذهبيا، أن يشاركني شخص في الشقة، فيدفع نصف الإيجار لحين انتهاء الأزمة المالية، وينزل المرتب على الحساب البنكي، بدلا من الاقتراض من أحد.

وجدته حلا معقولا، ولكن أخبرته أنه ليس أي حد، هناك مواصفات فيمن سيشاركني في الشقة ولو لمدة يوم واحد. من أهم هذه المواصفات أن لا يدخن داخل الشقة إذا كان مدخنا، والأفضل ألا يكون مدخنا في الأساس.

قال: أنا لا أدخن.

فاجأني فسألته . ألا يوجد لك سكن؟

ـ لدي سكن عائلي، وعائلتي ستسافر الأسبوع القادم إلى مصر لمدة شهرين، سأؤجر الشقة خلالهما لزميل أردني ستأتي عائلته في زيارة لمدة شهرين، وكنت أبحث عن أحد أسكن معه خلال تلك الفترة، نفيد ونستفيد.

توالت الاجتماعات الأسبوعية دون أن يتضح دوري في المجلة، أحيانا ترد إليَّ مادة ثقافية من مكتب رئيس التحرير لإبداء الرأي فيها، أفحصها وأدوّن رأيي كتابةً. أحيانا أكلف بكتابة موضوع عاجل عن أحد الأدباء أو المفكرين الذين رحلوا فجأة، أحيانا أقوم بالرد على رسائل القراء، أو التنويه عن كتاب ورد إلى المجلة، أو أضع عناوين فرعية أو جانبية لموضوع طويل بعض الشيء، وغيرها من الأعمال التحريرية الخفيفة.

اقترحتُ في أحد الاجتماعات أن نقيم ندوة شهرية بمقر المجلة، يحضرها أدباء ونقاد وكتاب ومثقفون، ثم نفرّغها وننشرها بالمجلة، كما اقترحت إضافة ملحق لثقافة الطفل بالمجلة.

وافق بعض الزملاء على الاقتراح ووصفوه بالوجيه، لكن رئيس التحرير كان له وجهة نظر أخرى.

قال: يا أخ يوسف لا تقدم اقتراحات تكلف المجلة أعباء مالية جديدة.

. ليس هناك أعباء مالية جديدة كما أرى.

ـ الندوة لا بد من ميزانية لها، ومكافآت للمشاركين والمتحدثين، وملحق الطفل سيلزمه كتّاب جدد ورسامون يرسمون للطفل.

ـ أعتقد أن الندوة لن تكلف شيئا، فالمشاركون والمتحدثون يأتون متطوعين.

. لا تطوع هنا. كل مشارك لا بد أن يُكافأ. هنا لا يوجد عمل تطوعي. إننا ليس في مصر. كل خطوة هنا محسوبة بالمقابل المادي.

ثم أضاف: بعد الاجتماع تفضل في مكتبي.

انفضّ الاجتماع وذهبت إلى مكتبه، فقال دون أن يشير إليَّ بالجلوس: لا تجادلني في الاجتماعات، أنت ما زلت جديدا بالمجلة، ولا تعلم طبائعنا، هل لاحظت أن أحدا غيرك تحدث اليوم؟

ـ لا لم يتحدث أحد، ولم يقترح أحد شيئا، ولكن ما فائدة الاجتماعات إذًا؟

أحسست أنه بدأ يضيق ذرعا بسؤالي، فقلت: عموما أنا جديد هنا ولا أعلم طبائعكم، ويبدو أنني سآخذ وقتا حتى أتعلمها، فلا تضق بي.

انفرجت أساريره قليلا بعد أن قلت له: لا تضق بي، فطلب مني أن أجلس.

بعد تردد واضح، طلب مني أن أنقل له كل ما يدور بالمجلة من أحاديث، وهمسات، وهمهمات، أن اقترب أكثر من العاملين والموظفين لأعرف ما يقولون وأنقله له.

أفهمته أن هذا ليس من طبعي ولا من أخلاقي، وعندما لاحظ ضيقي، ضحك قائلا إنه كان (يهزر) معي، وإذا قلت له خلاف ما قلته لكنت نزلت من نظره، وأنه لا يتعامل بهذا الأسلوب البوليسي في إدارة المجلة.

استإذَّات بالانصراف من مكتبه، وكلي شكوك حول كل العاملين بالمجلة أنهم ينقلون له ما يدور وما يقال، شككت أيضا في الزميل الذي انضم إليَّ في السكن، أن ينقل له ما يدور وما يقال هناك أيضا، ومتى أدخل الحمام ومتى أخرج، وماذا آكل وماذا أشرب، وماذا أفعل طيلة وجودي في السكن بعد عودتي من الدوام. قلت: أنا اللي جبته لنفسي، فبدأت

أتعامل بحذر شديد معه لحين انتهاء الشهرين، ويعود إلى سكنه العائلي.

يبدو أن الكل هنا يعرف كل شيء عن أي شيء، وكل الأمور الشخصية تصبح أمورا عامة.

obeikan.com

رسالة كيدية

بعد أسابيع قليلة من عملي بالمجلة، بدأت تتوالى رسائل الأصدقاء الأدباء من مصر، تحمل القصائد والقصص والمقالات الأدبية والدراسات النقدية والفلسفية والتاريخية ومقالات عن السينما والمسرح والموسيقى والفن التشكيلي والحوارات وعروض الكتب، على أمل نشرها.

كنت أحوّل ما يصلني من بريد ورقي وبريد إلكتروني لمكتب رئيس التحرير ليحولها هو إلى الزملاء المختصين، كل حسب تخصصه.

يحسب أصدقائي المصريون أنني أملك سلطة النشر بالمجلة، وأنني سوف أنشر لهم فور وصول موادهم، لا يعرفون النظام الصارم المعمول به، وأنني لست صاحب قرار نشر، بل قد لا أستطيع نشر أعمال تخصني.

لا يعرف أحدهم ما تعرضت له بعد أن نُشر لي ثلاثة أعمال في عدد واحد دون قصد من أحد، سوى الصدفة البحتة.
كان أول عدد رمضاني بعد عملي بالمجلة. كلفني رئيس التحرير بإعداد مواد غير تقليدية عن الشهر الفضيل. أعددت ثلاثة موضوعات ليختار من بينها، فاختار الثلاثة، على أن يوضع اسمي على موضوع واحد فقط، أما الموضوعان الآخران فيُكتب عليهما "أسرة التحرير"، لكن الزميل الذي كان يعيد تجهيز المادة على جهاز الكمبيوتر لم يحذف اسمي من على موضوعين حسب تأشيرة رئيس التحرير، يبدو أنه لم يلحظ التأشيرة.

صدر العدد الرمضاني، وقبل توزيعه في الدول العربية، تجيء رسالة غاضبة عبر إيميل المجلة. ترددت علياء في عرضها عليّ، لكن طبعتها على الورق، عرضتها على رئيس التحرير الذي فطن إلى أنها رسالة كيدية، فالعدد لم يوزع بعد ولا توجد نسخة منه على موقع المجلة على الإنترنت. عادة النسخة الرقمية تصدر بعد الورقية بأسابيع. تدعي صاحبة

الرسالة واسمها د. زهرة بيروك أنها قارئة جيدة من جامعة الرباط بالمغرب، ولها ملاحظات على العدد الجديد.

تقول الرسالة:

"السيد / رئيس التحرير

تحية طيبة وبعد

يؤسفني أن أكتب لكم مشيرة إلى أمر خطير، هو محاولة أحد الكتاب الوقوع بمجلتكم في شراك الاستهانة والاستخفاف بالقارئْ وعدم احترام القواعد الصحفية المعمول بها في المجلة، فقد نشرتم في العدد الجديد ثلاثة مقالات لكاتب واحد هو يوسف عبدالعزيز، الذي لم نقرأ له من قبل وإن كنا نتابع كتاباته في بعض المواقع الإلكترونية على أنه شاعر وناقد أدبي.

الأمر الشاذ أن ينشر مقالا هو طبي في مقامه الأول (مكسرات رمضان تحمي قلبك) فكيف لمن لا يحمل درجة علمية في الطب أن يكون طبيبا أو موجها طبيا أو علميا يا سادة؟! وكما هو منشور في سيرته الذاتية على الإنترنت أنه حاصل على بكالوريوس من كلية التجارة جامعة الإسكندرية.

الأمر الثاني هو سطحية وضحالة المقال، سواء من ناحية الترابط الموضوعي لعناصره أو من ناحية المفاهيم الطبية للمطروح، فقد بدأ المقال بمدخل ديني لا علاقة له بالمكسرات ولا يصلح أن ينطبق على موضوع المقال، واختار له عنوان (المكسرات تحمي قلبك) في حين أن الأبحاث العالمية الحديثة لم تؤكد هذا المعنى إلا من خلال استخدام المكسرات من السنين الأولى لعمر الإنسان وليس للكبار الصائمين الذين قد يكون أغلبهم مرضى بأمراض تتعارض مع تلك المكسرات مثل مرضى السكر والضغط والقلب والشرايين وغيرها. فكيف لمجلة مثل مجلتكم أن تنزلق إلى مستوى نشر الجهل بدون علم، أو نشر مقولات غير مسؤولة من نثريات الصحف والمجلات العامة؟

أما من ناحية الفحوى السردي والتناول العلمي لعرض الموضوع فهي مأساة كبيرة لأن الكاتب شاعر وناقد ومن المفترض أن يملك أدوات السرد الحكيم المبني على أساليب العرض السليمة فقد بدأ مقاله بمدخل ديني لا علاقة له بموضوع المقال العلمي، وإن كان هناك مداخل دينية أخرى أكثر ارتباطا بفحوى الموضوع لم يستعن بها.

إن كثرة الأخطاء اللغوية والنحوية والمعلوماتية وضعف العرض والتناول أتت بالطبع من غير متخصص طبيا، ونقل مباشر من نثريات الصحف والمواقع الإلكترونية، وليس من المحافل العلمية المسؤولة.

الأمر الأهم والأخطر هو كيف تسنى لهذا الكاتب نشر ثلاثة مقالات دفعة واحدة في عدد واحد؟ في الوقت الذي تُهمل فيه آلاف المقالات لآلاف الكتّاب الجيدين بحجج واهية ومبررات مغرضة من المسيطرين على المجلة لمصالحهم وعلاقاتهم الشخصية؟

إننا نُبدي اعتذارنا إذا كنا قد سببنا أي إزعاج أو حرج، ولكننا نخشى على المجلة العريقة، من أن تقع فريسة للشللية وللسطحية أو الفهلوة، وحرصا على تاريخها الطويل، وعطائها المثمر وغيرة عليها، وخوفا من أن تُنتهك حُرمتها وقدسيتها بالأقلام غير المسؤولة، وتبتعد عن أبسط القواعد والقيم والمعاملات الصحفية، بعدم الوعي بقدسية القلم الذي أقسم به رب العزة في قوله الكريم {ن والقلم وما يسطرون} وكذلك أمانة الكلمة وشرفها.

نأمل أن تظل صفحات مجلتكم نقية، ولكي تظل اسما على مسمى، فهي رافدنا جميعا وهي التي تنير لنا الظلمات وتمنحنا العلم والفكر الجادين.

وتفضلوا بقبول احترامنا

د. زهرة بيروك – جامعة الرباط – المملكة المغربية"

قال رئيس التحرير لسكرتيرته علياء: اهملي الرسالة، لكن اطلعي يوسف عليها، ليرى من هم أعداؤه.

قرأت الرسالة. ضحكت كثيرا، قالت علياء: تضحك على رسالة أنت مطعون فيها؟

ـ طبعا أضحك لأن الغبي الذي أرسلها لا يعلم أنه لا يوجد جامعة في الرباط تحمل اسم "جامعة الرباط". الجامعة التي بالعاصمة المغربية تحمل اسم "جامعة محمد الخامس".

هذه واحدة، والثانية أن العدد لم يوزع بعد في الأسواق العربية، فكيف عرف هذا الغبي أن هناك ثلاث موضوعات منشورة لي في عدد لم يره أحد خارج الخليج.

. من تظن أنه أرسل تلك الرسالة الكيدية، ما هدفه؟

ـ علياء .. الذي أرسل هذه الرسالة زميل مصري يعمل بالمجلة، لا يقول لفظ "فهلوة" عادة سوى المصريين، لكنه

يكشف غباءه الشديد، لم يستطع الانتظار حتى يوزع العدد بالمغرب العربي، فيرسل رسالته الكيدية، بغض النظر عن ردوده التي حاول أن يكسبها الناحية العلمية التي لا ندري من أين ساقها برسالته، وهل هي صحيحة أم لا؟

. ما هدفه؟

ـ هدفه الوقيعة بيني وبين رئيس التحرير ظنا منه أنه سيغضب مني، ولا ينشر لي في الأعداد القادمة. أي أنه يريد دقّ أسفين بيني وبين رئيس التحرير، ليظل هذا الغبي صاحب الحظوة، هو يخشى على نفسه من الآخرين الذين ربما يثبتون كفاءتهم، فيتم تهميشه لضعفه النفسي والتحريري (وربما الجنسي)، ولا يصاحب رئيس التحرير في سفرياته ومأمورياته الخارجية.

. بصراحة أنا لم أجد من يحارب بعضهم بعضا كالمصريين هنا. لدينا بالمجلة جنسيات كثيرة عربية وغير عربية، أكثر الجنسيات تشاحنا وتباغضا وتلاسنا هم المصريون، مع أنهم من أكثر الناس تفانيا ودقة في عملهم. أنا لا أقلل من شأن الآخرين، لكن المصريين مشهود لهم بذلك، لذا تجدهم الأكثر على مستوى الخليج بعد الهنود الذين هم الأكثر عددا

بحكم العلاقات التاريخية والتجارية بين الخليج والهند، لكن معظمهم يعمل في وظائف متدنية.

لم أستطع الرد على علياء وخاصة في جزئية التشاحن والتباغض والتلاسن، أمامها المثال الحي على ذلك.

obeikan.com

فتاة الغلاف

يتكون مبنى المجلة من سبعة طوابق، وله واجهتان على شارعين متوازيين، ومدخلان ومصعدان. كل طابق يتكون من شقتين واسعتين. المدخل الرئيسي به مكتب الأمن. يتصدر المدخل برواز كبير لصورة مكبرة لغلاف العدد الأول الذي صدر منذ ربع قرن، وكان لصورة فتاة خليجية جميلة تحتضن جذع نخلة بها الكثير من التمر. التمر حياة بالنسبة للإنسان الخليجي. دائما يستشهدون بعبارة "عَمَّتكم النخلة". حتى وقت قريب كانوا يتغنون بنخيل العراق. ويقام في المنطقة الغربية بإمارة أبوظبي مهرجان سنوي للتمور يعرف باسم "مهرجان ليوا للرطب". وفقًا للأمم المتحدة فإن ٢٠% من نخيل العالم يوجد في الامارات. كما اشتهرت تمور المدينة المنورة، وتمور الأحساء، وتمور القصيم وغيرها.

نفس الفتاة التي تصدرت العدد الأول، قام مصورو المجلة بتصويرها بعد خمس وعشرين سنة، وهي ممسكة بالعدد الأول، احتفالا بالعيد الفضي للمجلة. كانت أجمل من صورتها الأولى.

سألتُها أثناء المشاركة في تغطية الحفل الفضي: هل تتابعين المجلة على مدى الخمسة والعشرين عاما الماضية؟

. كل الأعداد عندي، اقرأ كل عدد بكامله، تكونت لدي ثقافة واسعة لم أكن لأتحصلها من أي دراسة أكاديمية. أثناء إعدادي لأطروحة الماجستير في الإعلام، فكرت أن تكون الرسالة عن المجلة كنموذج رفيع للمجلات الثقافية العربية، لكن تم توجيهي لموضوع إعلامي آخر. لعل الله يقيض من ينجز تلك الرسالة بعد كل هذه السنوات، وبعد أن تعاقب على المجلة عدد من رؤساء التحرير، بعضهم خليجي، وبعضهم مصري.

. أي الأبواب تشدك أكثر من غيرها بالمجلة؟

ـ كل الأبواب متميزة، لكن يعجبني أكثر التحقيقات والاستطلاعات المصورة لأنها تقدم وجبة معرفية دسمة ومفيدة، لم أجدها في الكثير من المجلات الأخرى. أشعر

أنني قد زرت البلد الذي يتحدث عنه الاستطلاع المصوّر. لدرجة أنني عندما أقرر السفر لدولة ما سواء في مهمة عمل أو للسياحة، أراجع أعداد المجلة، أعيد قراءة الاستطلاع عن البلد الذي سأزوره إذا كان موجودا بها. خاصة البلاد الآسيوية والأفريقية.

ـ ما الفارق الذي ترينه بين العدد الأول الذي كنتِ فتاة غلافه، والعدد الأخير الذي أنتِ أيضا فتاة غلافه؟

. الفارق هو الخبرة والتجربة والزمن، عندما صدر العدد الأول لم يكن هناك إنترنت على سبيل المثال، كانت وسائل ووسائط المعرفة محدودة، كنا نلهث وراء المجلات الثقافية والكتب الجديدة، خاصة التي تصدر في مصر التي كانت رائدة العالم العربي في ذلك الوقت. كل شيء يأتي من مصر، كان في نظرنا هو الأساس الذي نبني عليه ثقافتنا الجديدة المتطورة إلى جانب تراثنا الأصيل. لا أنسى دور المعلمين المصريين في تكويننا العلمي والثقافي منذ الطفولة. العدد الأخير صدر في ظروف محلية وعالمية مختلفة تماما، حتى أساليب الطباعة والتصوير اختلفت. أساليب التواصل مع المجلة اختلفت، أصبح للقارئ – بصفتي قارئة

نهمة – توجهات أخرى، استطاعت المجلة أن تلبيها، لعل هذا الأمر سر من أسرار استمرار المجلة بنجاح حتى الآن.

ـ هل من رسالة تودين بعثها لهيئة تحرير المجلة الموجودة حاليا؟

. حافظوا على المجلة التي تمثل الثقافة العربية الرفيعة، كونوا دائما عند حسن ظن القارئ بكم، لا تنسوا أن هذه المجلة هي سفيرة الثقافة العربية الآن.

****

وجدت عددا كبيرا من الكتاب اللبنانيين، يملأون صفحات المجلة، في الأعداد الأخيرة، بعضها جيد، وبعضها مقبول ولكن لا يرقى إلى مستوى المجلة وسمعتها.

كان رئيس التحرير يحوّل لي بعض هذه الأعمال قبل نشرها لقرءاتها وكتابة الرأي الفني حولها. له أن يأخذ بآراء المحررين أو لا يأخذ.

ذات موضوع ضعيف قرأته أكثر من مرة لم أجد فيه شيئا مفيدا، ولا شيئا جديدا أو ملفتا، مجرد كتابة لأجل الكتابة

دون شيء واضح في ذهن الكاتب، فكيف سيتضح شيء في ذهن القارئ.

كتبت على صدر الورقة الأولى، إن مقالة الكاتب اللبناني ضعيفة للغاية، لا شيء جديد فيها، لا ترقي لمستوى النشر بالمجلة. أعدت المقال مع مقالات أخرى بعضها مقبول وبعضها مرفوض، لمكتب رئيس التحرير.

اتصلت بي علياء وأخبرتني أن رئيس التحرير يقول إنك لم تقرأ مقال الكاتب اللبناني (فلان).

. قرأته .. ولا يصلح للنشر في مجلتنا. إنه ضعيف للغاية.

. هو أشَّر عليه بصلاحيته للنشر.

. هذا من صلاحياته كرئيس تحرير. بيني وبينكِ – يا علياء – أنا لاحظت في الأعداد الأخيرة تزايد نسبة الأعمال اللبنانية سواء كانوا كتابا أو غير كتاب. ألاحظ مجاملة قوية لكثيرين منهم. بالتأكيد هناك كتاب ممتازون، وفي المقابل هناك كتاب مزيفون.

ـ أستاذ يوسف لا أريد أن نكمل حديثنا في هذا الشأن بالتليفون، من فضلك تفضل عندي في صباح الغد قبل حضور رئيس التحرير، لنتحدث معا.

obeikan.com

. فليكن ..

صعدت إليها في الصباح الباكر. بعد أن طلبت لي القهوة وقدمت الحلويات كعادتها في كل زيارة إلى مكتبها، قالت:

هل تعرف أن رئيس التحرير يمتلك شقة في بيروت؟

. لا أعرف.

. اشتراها منذ عدة شهور.

. ما علاقة هذا بالمجلة؟

. له أصدقاؤه هناك يلتقي معهم كلما ذهب إلى بيروت، هم يقومون على خدمته ويعتنون بشقته ونظافتها ويرعون شئونها. أحيانا يؤجرونها لمن شاء في الوقت الذي لا يذهب فيه هناك، بالتالي الشقة تغطي تكاليفها، أو تدر عائدا ماديا جيدا.

. آه .. فهمت الآن .. لا تكملي حديثك!

. إذًا لا تحاول أن ترفض أعمالا لهم.

. يا ستي .. أنا أرفض وهو يقبل .. لا مشكلة.

. لكن لا أحب أن أرى صداما بينكما.

. وصلت الرسالة يا علياء.

. هناك أمر آخر أريد أن أحدثك فيه، ولكن ليس هنا.

. تحت أمرك .. حددي الميعاد والمكان المناسبين لك.

ـ نلتقي في الثامنة مساء اليوم في كافتيريا "ميراج" المطلة على الخليج.

لأول مرة تطلب علياء الزغبي أن نلتقي خارج المجلة. ماذا وراءك يا علياء؟

ذهبت إلى الكافتيريا المطلة على الخليج، قبل الميعاد بنصف ساعة، تذكرت لقاءاتي مع منى فارس بكازينو الشاطبي المطل على البحر المتوسط.

من "الشاطبي" إلى "ميراج"، من شمال أفريقيا إلى غرب آسيا، من المصرية منى فارس إلى اللبنانية علياء الزغبي. من الشَّعر الأسود الفاحم إلى الشعر الأصفر الناعم، من النيل والهرم إلى الأرز وبعلبك .. ماذا وراءك يا علياء؟

طلبت قهوتي التركية، وشيشتي المعسل، أتأمل المكان الممتلئ بالفتيات الخليجيات وقليل من الشبان، معظمهن يدخنّ شيشة التفاحة والكمثرى والجوافة، رغم وجودهن في تجمعات شبابية، إلا أن كل واحدة تحدق في جهازها المحمول، أو في جهاز الآي باد أو الآي فون. كل لها عالمها الخاص تسبح فيه، رغم الوجود الجسدي في "ميراج".

دخلت علياء في صحبة شاب خليجي في مثل سنها أو أكبر قليلا، كانت أجمل بكثير مما هي عليه في الدوام (وقت العمل)، رغم أنها تعد أجمل موظفة بالمجلة.

تقدمتْ إلى المكان الذي أنا فيه، قدمت لي الشاب الذي في صحبتها: سلطان يكتب الشعر والرواية والمقال، يريد أن يتعرف عليك.

. أهلا سلطان لم اقرأ لك شيئا من قبل.

. لهذا طلبت من علياء أن تعرفني عليك.

. أسمعني نماذج من إنتاجك.

فتح جهازه المحمول وبدأ يسمعني ما أسماه شعرا.

. لكن هذا ليس شعرا، ولا حتى قصيدة نثر.

. طيب ينفع يصير رواية؟

ضحكت ضحكة عالية، ثم حاولت أن أتماسك حتى لا يظن أنني أسخر منه، في حقيقة الأمر كنتُ أسخر منه فعلا.

. لا ينفع يصير رواية طبعا، فكل فن أو كل صنف أدبي له مواصفاته. رغم تداخل الفنون والآداب إلا أنه في النهاية يظل لكل صنف أدبي معالمه ومواصفاته، لا يصح أن نطلق على الرواية شعرا، قد يكون بالرواية قدر من الشعر،

أو شاعرية ما، لكن لا يصح أن نطلق عليها شعرا بالتأكيد، كذلك لا يجوز أن نطلق على المسرحية قصة قصيرة، قد يكون في المسرحية خيط سردي ما، أو حكاية أو حدوتة ما، لكنها تظل مسرحية تعتمد في المقام الأول على الصراع الدرامي بين عدة أشخاص، أو حتى شخص واحد، كما في "المونودراما".

أحسست أنني أتكلم في الهواء، لا تعليق من سلطان ولا من علياء، تركوني أتكلم وأشرح، بدون أي مقاطعة أو استفسار، سألت: وصلت الفكرة؟

. وصلت أستاذي، ولهذا أنا لجأت إليك. سأترك لك أعمالي أو أرسلها بالبريد الإلكتروني لتقرأها وتجري عليها التعديلات اللازمة، تمهيدا لنشرها في مجلتكم.

. كيف ننشرها؟

. ننشرها بعد أن تقوم بتعديلها.

. ولماذا لا تعدلها أنت، بعد أن تستفيد من بعض التوجيهات والنصائح إذا أردت ذلك، فأنت في النهاية صاحبها واسمك سيوضع عليها.

. أنا تحدثت مع علياء في هذا الأمر، المجلة لا بد أن تشجع الشباب في الخليج، فهي مجلة خليجية في الأساس.

. ما الحكاية يا علياء؟

ـ سأفهمك بعد ذلك، لكن دعنا الآن نستمع إلى إحدى قصائدك، ليستفيد منها سلطان!

. ليس لدي الرغبة في قول الشعر الآن. أريد أن أفهم.

استإذًا سلطان كي يذهب إلى الحمام، فقفزتْ علياء إلى جانبي قائلة: أنت ستعدل له كتاباته تشجيعا منك له، وهو أيضا سيكافئك، وأخرجت من حقيبة يدها زجاجة عطر ثمينة ذي ماركة عالمية: هذه أول المكافآت، بعد النشر سيعطيك مكافأة النشر الخاصة به.

. نظرت لها في حدة: هل تعلمين عني ذلك يا علياء؟

ـ نحن في الغربة يا يوسف، مرتبات المجلة لا تكفي لكي نعيش عيشة جيدة، يجب علينا أن ندخر ونرسل لأهالينا مبلغا شهريا، أنت لن تخسر شيئا، أنا أدري أنك من الممكن أن تفعل هذا بطرف إصبعك، وفرصة تستفيد ماديا.

. وأنتِ ماذا تسفيدين؟

ـ إنـه صـديقي، أريـد أن أخدمـه وأخـدمك. أخبرتـه أن الأسـتاذ يوسف هو خير من يخدمك في هذا المجال.

. ثم ماذا؟

. ستضمن لك دخـلا شـهريا جيدا، هو يفكر في إعداد رسالة ماجستير في الأدب العربي. ويريدك ....

ـ أرجوكِ يـا علياء .. لا تسترسـلي فـي كلامك. ولا تجعليـني أفقد احترامي لك ولجمالك.

ـ يـا يوسـف .. معظـم زملائنـا المحـررين فـي المجلـة يفعلـون الشـيء نفسـه، مـع شخصـيات أخـرى أصـبح لهـا شـهرتها فـي الخليج.

. أرجوك لا تشوهي الصورة أمامي.

. يبدو أنك مثالي أكثر مما كنت أتوقع.

ـ ليسـت مثاليـة، إنـك تحطمـين أمـامي الرمـوز رغـم أنـك لـم تذكري أسماء بعينها.

عاد سلطان من الحمّام، على وجهه غضب ما، طلبت من الفتاة المغربية التي كانت تقوم على خدمتنا وتحضر طلباتنا فـاتورة المشـروبات، دفعـتُ الحسـاب، وتركتهمـا مـع زجاجـة العطر الثمينة وانصرفت.

مؤتمر صحفي

هل المحرر في أي مطبوعة يكون أفضل حالا من بقية العاملين بها؟

المُحرِّر اسم فاعل من الرباعي حرَّرَ، وهناك المحرِّر الأدبيّ والسياسيّ والرياضيّ والاقتصاديّ. ويعمل المحرر في دائرة مختصة لتحرير موضوع ما. يجب عليه الالتزام بالخط الذي يضعه الناشر للصحيفة أو المجلة، والمسئول عن كامل التحرير هو رئيس التحرير.

إلى جانب قسم التحرير، توجد أقسام أخرى بالمجلة، مثل قسم الصف على أجهزة الكمبيوتر، التنسيق، الإخراج الفني، المراجعة والتدقيق اللغوي، الدعم الفني، السكرتارية، قسم التوزيع والاشتراكات، المحاسبة، المكتبة، الأرشيف، الترجمة، المعلومات، إلى جانب الخدمات المساعدة من حراسة، سعاة، عمال نظافة، عمال بوفيه وغيرها.

obeikan.com

لكن يظل المحررون هم الفئة المقربة إلى رئيس التحرير، هم عقل المجلة أو المطبوعة، إنه دائم الحديث والحوار معهم لتنفيذ تعليماته الكتابية أو الفكرية وخطة النشر، وترجمتها إلى واقع كتابي وتسكينها على ماكيت المجلة، قبل إرسال المواد للمطابع.

أحيانا كان رئيس التحرير يستدعيني في جلسة حوارية منفردة، يملي عليَّ أفكاره أو خطوطا عريضة مما يريد كتابته أو صياغته في صورة مقال افتتاحي للعدد. سرعان ما أنفذ له ما يريد وأنتهي من كتابة المقال الافتتاحي الذي ينشره باسمه.

لذا يظن الزملاء بالأقسام الأخرى أن المحررين هم الأقرب في علاقاتهم برئيس التحرير.

المفروض في المحرر أن يكون أكثر ثقافة وقراءة وكتابة من غيره من العاملين بالمطبوعة، هذه هي عدته وأدواته ورأس ماله، لذا فهو يأتي في مرتبة متقدمة على بقية العاملين، هو الأعلى مرتبا بينهم.

عندما تأتي دعوة رسمية من جهة ثقافية ما، لحضور حدث ثقافي أو أدبي سواء داخل الخليج أو خارجه، تكون الدعوة

موجهة باسم رئيس التحرير، إما أن يذهب هو أو يرشح أحدا من المحررين . وليس من الأقسام الأخرى . للذهاب بدلا منه، حيث يكون المحرر في هذه الحالة هو واجهة المجلة، والمتحدث باسمها.

لقد اختارني رئيس التحرير لحضور مؤتمر صحفي لأحد المهرجانات المسرحية الكبرى التي تقام في الخليج. أخذ رئيس المهرجان يتحدث عن أهمية المهرجان السنوي الذي يلقى كل الدعم من الدولة، وأنه فرصة للتواصل مع الأشقاء العرب الذي يشاركون في المهرجان، وفرصة لاكتشاف المواهب المسرحية الشابة، ثم تحدث نائب رئيس المهرجان كاشفا عن خطة المهرجان وعدد الدول المشاركة وعدد العروض المسرحية المقدمة.

سأل مقدم المؤتمر عمن يرغب من الصحفيين في توجيه أسئلة لرئيس المؤتمر أو نائبه.

مرت دقيقة دون أن أرى أحدا يسأل، أشرت برغبتي في السؤال، قال لي في توجس: تفضل عرّف نفسك، وأين تعمل قبل أن تسأل. أرسل لي ميكروفونا (وايرلس) لأتحدث من مكاني.

كـان السـؤال محـددا، يـدور حـول اللغـة التـي سـتقدم بهـا المسرحيات، خاصـة أن هنـاك مشـاركات مغاربيـة من تونس والجزائـر والمغـرب، وأخـرى لبنانيـة وسـورية وسـودانية إلـى جانب الخليجية، فهل المسرحيات باللغة العربية، أم أن هناك مسرحيات باللهجات المحلية؟

يبـدو أن السـؤال كـان مفاجئـا، أخـذ رئـيس المهرجـان ونائبـه ينظـران إلـى الأوراق التـي أمامهمـا محـاولين معرفـة لغـة المسرحيات المشاركة، فلم يجدا معلومات مفيدة.

بعد دقائق من الصمت، قال نائب رئيس المهرجان إن هناك أوراقا ستوزع بعد قليل على الصحفيين فيها كل الإجابات المطلوبة، وطلب من مقدم المؤتمر أن ينهي المؤتمر حيث لا توجد أسئلة أخرى.

أثناء وجودي في البوفيه المصاحب للمؤتمر، أُعد طبقا من الكيك والحلويات وفنجانا من الشاي، صافحني صحفي شاب، وقال هامسا: لا أحد يسأل في مثل هذه المؤتمرات الصحفية. نحن نأتي لكي نسجل ما يُقال أو نأخذ نسخة مطبوعة منه مع عدة صور للمنصة، ثم نأتي للبوفيه الفاخر نأكل ونشرب، ونعود إلى مواقع عملنا نسلم الشغل لرئيس

القسم بالجريدة. يبدو أنك أول مرة تأتي إلى هنا، ولا تعرف النظام؟

. فعلا .. إنها أول مرة آتي إلى هنا، لكن كيف يكون مؤتمر صحفي بلا أسئلة؟

ـ هذا هو المعمول به، لذا وجدتهم يتخبطون فلا معلومات عندهم غير التي قالوها أو قرأوها، لكنك غردت خارج السرب.

عدت إلى المجلة، لأجد رئيس التحرير يطلبني لأوضح له ما فعلته وقلته في المؤتمر الصحفي. استشعرت أن هناك اتصالا تليفونيا ما تم بينه وبين إدارة المهرجان، فأوضحت له ما حدث كما حدث، قال: نسيت أن أخبرك ألا تسأل أو تعلق على شيء مما تسمعه.

ملف الثورة

في اجتماع الأسبوع الأول من شهر مايو، اقترح رئيس التحرير الذي كشف عن شخصيته العروبية وحبه لجمال عبدالناصر أن نعد ملفا عن ذكرى ثورة ٢٣ يوليو، لينشر في عدد يوليو القادم، ولكنه قال: لا نريد نشر مواد مستهلكة، أو مواد أرشيفية، نريد مواد حية، من واقع تجارب شخصية ومشاهدات لم تنشر من قبل، نريد أن نكون مرجعا لما سيكتب في ذكرى الثورة المصرية الخالدة، خاصة أننا سنوزع العدد أول الشهر، أي قبل ٢٣ يوليو بعدة أسابيع، من الممكن أن تكون مادتنا أو ملفنا مرجعا للصحافة المصرية والعربية، والبرامج التلفزيونية التي ستحيي ذكرى الثورة.

أملى علينا قائمة بالأسماء السياسية أو الإعلامية التي يعرفها والتي من الممكن أن نستعين بها، بالإضافة إلى من

سيجد في نفسه القدرة من محرري المجلة على الكتابة حول ذكرى الثورة.

أعجبني تحمس رئيس التحرير الخليجي للثورة المصرية، وللزعيم جمال عبدالناصر، اقترحتُ أسماء بعض الأشخاص والكتاب المصريين الذين من الممكن تكليفهم بالكتابة في هذا الملف، كما اقترح زميل آخر أسماء بعض الكتاب اللبنانيين والسوريين المنحازين للثورة.

ظللت أفكر ماذا سأكتب أنا في هذا الملف. وبعد يومين وجدتني أكتب ذكرياتي عن الثورة وزعيمها. سلمت المقال لرئيس التحرير بعد يومين آخرين، فحجبه عنده، هل يظن أنه أكثر ثورية مني وأكثر حبا للثورة ولعبدالناصر؟

في اجتماع الأسبوع التالي، لم يتحدث رئيس التحرير مطلقا عن الملف وعن الأسماء التي اتصلنا بها للكتابة، ولا عن ما كتبه المحررون، ولا عن مقالي الذي سلمته لسكرتيرة التحرير، كي تسلمه له.

تحدث عن أشياء أخرى، عن الأخطاء التي ظهرت في العدد السابق، من واقع خطابات القراء واتصالاتهم الهاتفية وإيميلاتهم على البريد الإلكتروني للمجلة، من واقع

ملاحظاته الشخصية على العدد بعد صدوره. طالبنا بالجدية في العمل، وأنه لن يسمح بتكرار تلك الأخطاء سواء في اللغة أو في المعلومات والتواريخ والأرقام، وأننا يجب مراجعة كل كلمة بل كل حرف ينشر في المجلة، قبل اعتماده للبروفة الأخيرة التي تذهب إلى المطبعة.

بعد كل هذا وقبل أن يرفع الاجتماع، سألته عن أخبار الملف الذي نعده عن الثورة المصرية، نظر لي مليا ثم قال في ضعف ووهن: لن يُنشر. قبل أن أتساءل عن السبب قال بلهجة حاسمة: انتهى الاجتماع.

عدت إلى مكتبي استغرب تصرفاته، امتدت يدي إلى زجاجتي، لم تزل مخلصة لي، ماؤها لم يتبخر بعد، دائما تغويني وتعيد لي ذكريات الإسكندرية، ومشهد الزعيم وهو يحيي جماهير الإسكندرية التي تصطف على الكورنيش منذ صباح يوم ٢٦ يوليو، وحتى مرور موكبه عصرا في طريقه إلى قصر رأس التين. ثم نعود إلى بيوتنا ونحن مبتهجين وسعداء برؤية الزعيم وقامته الممدودة، وبسمته الودودة، وهو يلوح لنا بيده اليمنى، وكأنه يصافح كل شخص على حدة.

الجوهرة إبراهيم

مضت شهور على عملي بالمجلة، لم أحاول خلالها الاتصال بمنى فارس، ولا هي حاولت، لكنها معذورة فهي لم تعرف رقم هاتفي هنا.

فكرت في الاتصال بها أكثر من مرة، كنت أتردد، هل تتابع مقالاتي بالمجلة كما وعدتني، هل تحس أنها موجودة داخل كل سطر أكتبه وداخل كل تفعيلة في قصائدي الجديدة، داخل كل صورة شعرية، آه يا منى كم افتقدك في الغربة!

في صباح أحد الأيام وأثناء صعودي في مصعد المبني ممسكا بيدي ملفا من ملفات المجلة، وبه بعض الأوراق التي تسلمتها من قسم الصف بالدور الأول، وجدت امرأة في غاية الرقة والجمال، كانت تلبس نظارة سوداء، كانت أشبه بمنى فارس لكن في عباءة خليجية، في الوهلة الأولى ظننت أنها هنا في زيارة مفاجئة.

حملقت فيها بشدة، كدت أنطق باسمها، لاحظتْ هي ذلك. بعد أن شاهدت ملفات المجلة في يدي، بادرتني بلهجة خليجية قائلة: الأستاذ يعمل بالمجلة؟

. يشرفني ذلك.

. أنا أول مرة أراك.

. أنتِ تعملين هنا؟

. من سنوات.

. أنا أول مرة أراكِ.

. وأنا كذلك.

وصلنا الدور السادس، فقلت لها: مكتبي هنا تفضلي.

ـ أنا طالعة التقي رئيس التحرير، أسلمه استطلاعا جديدا، وأمر عليك وأنا نازلة.

. في انتظارك.

جاءتني الجوهرة إبراهيم فأنارت مكتبي الذي لم تدخله أي أنثى منذ قدومي هنا، نعم هناك زميلات يعملن محررات بالمجلة، خاصة بالصفحات النسائية وشؤون الأسرة وبيت العائلة، لكن تعاملي معهن محدود وأغلبه من خلال التليفون الداخلي.

obeikan.com

لها مكتبها الخاص بالدور الثاني الذي يظل مغلقا طوال سفرها لإعداد استطلاعات للمجلة، سواء على نفقة وزارة الثقافة والإعلام أو على نفقة الدولة المضيفة.

قرأت لها استطلاعات مصورة كثيرة في أعداد سابقة بالمجلة، لا أبالغ إذا قلت إن تلك الاستطلاعات هي روح المجلة، فهي تعطي فكرة كاملة عن المكان والزمان المكتوب عنه، وتنقل لنا خبرات وعادات وتقاليد وحياة كاملة لمنطقة أو شعب لا نعرف الكثير عنه. تزداد أهمية تلك الاستطلاعات إذا كانت مكتوبة بلغة صحفية رشيقة غير متعالمة أو متعالية على القارئ، وتزينها الصور الملونة الملتقطة بحرفية كبيرة.

لم تكن موجودة في أول اجتماع تحرير شاركتُ فيه، كدت اقترح الإشراف على صفحات الاستطلاعات، همس لي أحد الزملاء بأن للاستطلاعات ناسها، فالتزمت الصمت.

. أتعرفين أن بك شبها كبيرا من الفنانة المصرية منى فارس؟ عندما رأيتك في المصعد، وكنت تضعين النظارة السوداء على عينيك، ظننتك هي.

. كثيرون أخبروني بذلك.

ـ هل تعرفين أنها بدأت حياتها كاتبة صحفية في مجلة نسائية تصدر من هنا؟

. لكني لم أرها هنا.

ـ هي لم تأت، رئيسة التحرير كلفتها بالعمل في القاهرة، هناك لمعت وانتشر اسمها، اكتشفها أحد المخرجين، عملت معه، انتقلت من نجاح إلى نجاح.

. واضح أنك تعرفها جيدا.

. إنها إسكندرية مثلي، كنا نرتاد معا قصور الثقافة، نعمل في الصحافة، حلمنا كثيرا أن يصبح لنا مجلة خاصة، لكن هي احترفت الفن، وأنا جئت هنا.

. سمعتُ عنك قبل مجيئك، قرأت لك شعرا أيضا، لم أعرف أنك بدأت الصحافة مع منى فارس، واضح أنك تعزها جدا.

. هي مجرد زميلة، أو كانت زميلة عمل وحلم.

. ما أجمل تعبيرك: زميلة حلم. لا يقوله إلا الشعراء.

. عرفتُ أنكِ ملكة الاستطلاعات هنا، أتابع استطلاعاتك في كل الأعداد حتى قبل مجيئي، لكنك لا تضعين صورتك مع الصور المنشورة بالاستطلاع، لذا لم أعرفك عندما التقيتك في المصعد. لكن الجوهرة إبراهيم اسم كبير عندي.

ابتسمت في خجل، قالت: شكرا لذوقك، كاني أعرفك من زمان.

ثم أضافت: ألا تود إن تسافر في استطلاع لبلد ما تختاره؟

ـ يا ريت، لكن أعلم أن هذه الاستطلاعات موقوفة عليك وحدك؟

ـ أبدا .. إنها مفتوحة للجميع. "كل واحد وشطارته"، كما تقولون في مصر.

وأضافت: عموما أنا أرتب لعمل استطلاع في مدينة البتراء بالأردن، لكن يبدو أنني لن أسافر هناك. جاءتني موافقة على السفر إلى الأرجنتين لعمل استطلاع آخر هناك واللقاء مع الجاليات العربية بها.

ـ لا بأس أن أذهب إلى البتراء، تغيير جو، ومشاهدة مدينة أثرية أتوق إلى رؤيتها منذ زمن، لكن هل لا بد من موافقة رئيس التحرير؟

. أترك هذا الموضوع علي، فأنا سأتحدث معه.

وأضافت: هل تعلم أنني من المفروض أن أكون رئيسة تحرير المجلة، ولكني تنازلت عن منصبي لكثرة سفرياتي وظروف عائلتي أيضا.

يبدو أنني أمام امرأة حديدية أخرى، واثقة من نفسها، جميلة وجذابة، ذات عينين واسعتين مكحلتين بكحل هندي، مثقفة، تعرف أكثر من لغة أجنبية، تخرجت في جامعة اكسفورد، قادرة على إدارة الحوار بذكاء مع من تتحدث معهم، خفيفة الظل، تجيد اللهجة المصرية كأنها بنت من شبرا، أو فتاة من بحري، لكن ما ظروفها العائلية؟

. لماذا لا تقدمين برنامجا في التلفزيون، فأنت جميلة وجذابة ومتحدثة لبقة، وصوتك إذاعي.

ـ قالت ضاحكة: أحب العمل في الصحافة أكثر من التلفزيون.

توطدت علاقتي أكثر بالجوهرة إبراهيم، كانت تمر علي بصفة دائمة في اليوم الذي تأتي فيه إلى مقر المجلة، قبل أن تصعد لمكتب رئيس التحرير.

فوجئت ذات يوم بقولها: أنت تمتلك صفات رئيس التحرير، تجيد الكتابة الصحفية وتجيد الإدارة معا، اطلعت على سيرتك الذاتية والأدبية. يبدو أن لك خبرات في ذلك، وبصوت خفيض: ألا تتطلع أن تكون رئيس تحرير تلك المجلة؟

رجعت إلى الوراء، تمعنت فيها، قلت: ماذا تقولين؟

. كما سمعت!

. لكني لست خليجيا!

. ليس شرطا! فهناك رؤساء تحرير كثيرون في المنطقة ليسوا خليجيين.

. إنها مجلة حكومية، وليست خاصة؟

. مالك علاقة. فكر وأخبرني. واستعد للسفر إلى الأردن.

. يا ست الجوهرة. رفقا بي. أنا إيقاعي غير إيقاعك، إيقاعك أسرع مني.

ـ أبدا .. إطلاقا .. أنا ربما أكون عملية أكثر منك، أنت شاعر وحالم، وتنظر إلى الدنيا بمنظور مختلف، لكني أثق في قدراتك.

تركتني وانصرفت بعد أن تناولت تمرتين مع القهوة، وتساءلت بيني وبين نفسي: أهو ملعوب من رئيس التحرير الحالي، ظنا منه أنني اتطلع أن أكون رئيس تحرير بدلا منه، فاتفق مع الجوهرة، لكشف ما أفكر فيه؟ لكنه هو الذي اتصل بي ورشحني للعمل بالمجلة. كيف يخشى من انقلابي عليه، ثم لا توجد صراعات بيني وبينه. ما يحدث من

مناوشات طفيفة أثناء الاجتماعات شيء عادي. لكن غير العادي أن يطلب مني أن أتجسس على الزملاء وأنقل له ما يدور بينهم. قد تكون الصراعات بينه وبين الجوهرة، وتريد أن تستخدمني أداةً في يدها ضده.

obeikan.com

الغربة وتكاليفها

رغم شكوكي حوله أنه كان عينا عليَّ فإنه ترك فراغا في الشقة، لم أشعر أثناء وجوده بالغربة، كان يساعدني في أعمال تنظيف الشقة وأحيانا في الطبخ في اليوم الذي نزهق فيه من وجبات المطاعم.

كنا نذهب إلى مقهى "ساعة صفا" معا نقضي به ساعات صفائنا بعد انتهاء الدوام، ندخن الشيشة، ونشرب الدارسين (القرفة بالحليب)، ونستمع إلى حكايات المغتربين المصريين والسوريين والأردنيين والفلسطينيين والسودانيين والإيرانيين والأتراك والهنود والفلبينيين والأفارقة وخاصة الصوماليين والأثيوبيين وغيرهم.

جمعتهم الغربة وشجونها، وفرَّقهم سعر الدولار والعملات الخليجية، لكل حكاية ولكل رواية ورؤية، ولكل حساباته

الخاصة، سواء في بنوك الخليج أو بنوك بلاده، سواء الحسابات المادية أو العاطفية.

من هذه الحكايات أعددت موضوعا صحفيا مصورا عن "الغربة وتكاليفها في الخليج". من عنوانه رفض رئيس التحرير نشره، فهو ليس موضوعا ثقافيا. أفهمته أن تكاليف الغربة ليس هي التكاليف المالية أو الاقتصادية، ولكنها التكاليف النفسية، وبالتالي فهو يدخل في إطار الاجتماع وعلم النفس، أو علم النفس الاجتماعي. لكنه أصر على الرفض.

قال لي منسق المجلة والذي قام بدور المصور في اجتماعات المقهى: ولا يهمك .. هناك مجلات كثيرة أخرى ترحب بالموضوع.

. لكن مجلتنا أولى، لماذا نلجأ إلى مجلات الغير.

. حسب عقلية رئيس التحرير.

أطلعتُ الجوهرة على الموضوع والصور، وقالت: هايل، سينشر في العدد القادم.

. رئيس التحرير يرفض نشره!

. ما عليك منه!

obeikan.com

بالفعل نُشر الموضوع مع الصور وأثار ضجة كبيرة، طلبت بعض السفارات نسخا من المجلة، خاصة سفارات الأشخاص الذين وردت أسماؤهم بالتحقيق الصحفي.

ـ سألت منسق المجلة: ما القوة التي تتمتع بها الجوهرة، لتجبر رئيس التحرير على نشر موضوع رفضه من قبل، كما تعلم؟

ـ الجوهرة هذه حكاية، لقد رفضتْ رئاسة التحرير من قبل، وهي التي رشحت الرئيس الحالي، وتمت الاستجابة لطلبها، يبدو أن لها ظهرا في الوزارة.

ـ لكنها لا تحضر كثيرا بالمجلة. أول مرة أراها بعد شهور من حضوري إلى هنا.

ـ لكنها تحضر كثيرا إلى مكتبك، ربما تكون أنت أكثر شخص تتكلم معه وتحادثه في المرات القليلة التي تأتي فيها.

ـ أنت لاحظت ذلك؟

ـ الزملاء كلهم لاحظوا، وإن لم يتحدثوا.

ـ ورئيس التحرير؟

ـ يعرف كل خطواتها وخطواتك داخل المجلة!

ـ وخارجها؟

. لا أدري.

كانت الجوهرة قد أعطتني رقم تليفونها المحمول الخاص جدا الذي لا تعطيه إلا للقليلين حسب كلامها، اتصلتُ بها لأشكرها على اهتمامها بالموضوع، وتنفيذ كلامها بأنه سينشر رغم رفض رئيس التحرير له.

. يوسف .. أين أنت الآن؟

. أنا في شقتي.

. إذا لم يكن عندك مانع، أعزمك على فنجان قهوة الآن!

. أين نلتقي؟

. في المنزل عندي.

. لا أعرف أين يقع منزلك.

. قل لي أين تسكن وسأرسل لك من يأخذك من أمام منزلك ويعيدك إليه ثانية.

في الموعد المحدد وقفت أسفل العمارة. رأيت شخصا ذا بشرة سمراء يرتدي بذلة سوداء، يهبط من سيارة بي ام دبليو سوداء ذات زجاج فميه، يتجه نحوي متسائلا: مستر يوسف؟

. نعم

. تفضل. أنا السائق الخاص للسيدة الجوهرة.

obeikan.com

ركبت معه، قطع بي مسافات طويلة في طرق لم أسلكها بسيارتي من قبل، إلى أن وصلنا إلى منطقة كلها فلل وقصور، أوقف محرك السيارة داخل ساحة أحد هذه القصور، قال لي: تفضل سيدي.

دخلت القصر ولم أصدق نفسي أن الجوهرة زميلتنا بالمجلة، تعيش فيه.

أخذت أتأمل اللوحات التشكيلية المعلقة على الجدران لكبار الفنانين العالميين ولبعض الفنانين المحليين، والتماثيل الصغيرة، والنجف والتحف والسجاجيد والأثاث الفخم في المنطقة التي أجلس فيها. عيناي لا تستطيعان التطلع إلى ما أبعد من ذلك.

جاءتني خادمة فلبينية تسألني ماذا أشرب؟ قلت لها: قهوة تركية.

. سيدي لا يشرب الواين؟

. ليس الآن.

جاءني من الخلف صوت الجوهرة: ولماذا ليس الآن؟

ارتبكتُ ولاحظتْ هي ذلك: يعني أحتاج إلى قهوة الآن، ثم نرى موضوع الواين.

مدت يدها ضاغطةً على كفي قائلةً: على راحتك.

. أراكَ مرتبكا قليلا، على غير ما تعودتك عليه في المجلة.

. أنتِ لغز مفاجئ ظهر في حياتي، وفستانك الليلة على غير العادة، تشعين جمالا وصفاء كأنك الخمر في كأسها الشفاف.

ضحكت قائلة: لكنك تؤجل شرب هذا الخمر، تقول ليس الآن. وتقول أيضا إنني لغز بالنسبة لك، أليس لديك ألغاز أخرى في حياتك؟

. كل إنسان لا يخلو من ألغاز وأسرار، وأريد أن أعرف سرك ولغزك، أريد أن أفك طلاسمك، من أنتِ، وما كل هذه الفخامة والأناقة، لا أصدق أنك مجرد زميلة محررة في المجلة.

ـ هذا موضوع يطول شرحه يا يوسف. دعنا نحتفل بموضوعك الذي أثار ضجة لدى الأوساط الدبلوماسية والثقافية في الخليج. هذا الموضوع كان مسكوتا عنه، يخشى معظم المحررين خاصة الوافدين الخوض فيه، أما المحررون الخليجيون فليست هذه منطقتهم أو قضيتهم.

ـ عندما قررتُ الكتابة عن المغتربين هنا، لم يكن لدي أي حسابات، فقط أحببت أن أُظهر وأوضح أمام الرأي العام المحلي وربما العالمي كيف يعيش هؤلاء الناس هنا، وما حجم معاناتهم ومشاكلهم النفسية قبل المادية. من حسن حظي أنني أتردد على مقهى بجوار العمارة التي أسكن فيها، يجتمع فيه عدد كبير من المغتربين من جنسيات مختلفة، يسكنون في المنطقة السكنية نفسها. ولكنهم دائمو الإفصاح عن مشاكلهم الشخصية والنفسية والأسرية سواء كانت أسرهم معهم أو ليست معهم، ومشاكل عملهم، فوجدت مادة ثرية جاءت عندي. فقررت الكتابة. على فكرة أنا أخذت موافقتهم قبل الشروع في الكتابة، الكل أجمع على ضرورة أن تصل أصواتهم من المجلة التي أعمل بها.

. ألم أقل لك إنك كاتب صحفي موهوب ومثقف، فضلا عن أنك شاعر. أظن حان الآن وقت الواين، ولكن سنشرب في نخب نجاحك في غرفتي بالأعلى.

. على أن تحكي لي سرك وسر ما نحن فيه؟

فور دخولي غرفة نومها الواسعة شاهدت لوحة "الحمام التركي" للفنان الفرنسي أوغست دومينيك أنغر معلقةً فوق سريرها.

عندما رأتني أبحلق في نسوة اللوحة قالت الجوهرة: تشتمل اللوحة على ست وعشرين امرأة يستمتعن بملذات الحمام. لقد جعل أنغر المرأة العازفة في مقدمة اللوحة مديرة ظهرها للناظر لا إعراضا عنه بل لتقود عينيه إلى داخل المشهد. وكذلك الأمر بالنسبة لهؤلاء النسوة فهن يبدون غير مدركات أن ثمة من ينظر إليهن خلسة، فلا تتطلع أي منهن نحو الخارج حيث المتفرج. إنهن في مكان حميم يحسبنه مغلقا في وجه كل من يريد أن يختلس النظر اليهن.

في رأي صديقتي الناقدة التشكيلية رنا قباني التي كانت معي عند شراء اللوحة: "إن ما يزيد من الطابع النسوي لهذه اللوحة شكلها الدائري والتركيز على استدارة النهود والنحور والبطون فيها، كما أن استدارة اللوحة توحي إلى المشاهد بأنه يسترق النظر من خلال ثقب الباب فيدخل روعه أنه قد تسلل إلى الشرق المحرَّم وأنه يرى عالم مسراته من دون أن يُرى".

وأنا أرى أن "الحمام التركي" يشكل مختارات شاملة للمرأة في كل أوضاعها المرغوبة، فهي تتعطَّر وتكشف ثدييها وتداعب نفسها أو جارتها وتخطفها ذكرى أو وعد الاستسلام المُسكر للذة الهوى".

قلت لها: إنها تحوي عريا أكثر من المعقول، يعانق العزف الموسيقي. أشرتُ إلى فتيات سمراوات يقفن في الحمام، واحدة منهن تمسك دُفًّا، وسط هذه الكتل البيضاء الأنثوية الشبقه، وقلت: كعادة الاستشراق الفتيات السمراوات يقمن على خدمة النساء البيضاوات العاريات، وهو ما لاحظته أيضا على الفتاة السمراء، أو الأفريقية التي تقوم على خدمة النساء في "جزائريات" ديلاكروا.

منحتني شفتيها قائلة: ما أجمل هذا العري في تلك الغرفة في هذه الليلة.

ابتعدت عني قليلا وهي تغني بصوت حنون كله شبق وفتون "هذه ليلتي وحلم حياتي". ثم اقتربت مني وقد أسكرها خمر اللوحة وعطرها، همست في إذًاي: سأمنحك سري وجمالي وشفرتي الخاصة، كتالوج جسدي وخريطة عشقي وملذاتي وكل آهاتي التي لم أمنحها من قبل لأي رجل، سوى زوجي

الراحل الذي لم يعرف كيف يبحر إلى خرائطي وكهوفي وثغوري وثغراتي، توفاه الله بعد أشهر قليلة من زواجنا، بعد أن وضع بذرة طفلنا في أحشائي، ورثت وطفلي كل ما أنت تراه أمام عينيك، وأرصدتي في بنوك الخليج وسويسرا، وأحد الأندية الرياضية في لندن، وفيلا في الرحاب بالقاهرة، فقد كان من أكبر رجال الأعمال بالمنطقة، له نفوذ كبير داخل الوزارات والمصالح الحكومية، له علاقات طيبة مع الأمراء والشيوخ بالمنطقة كلها.

. ألهذا رفضتِ أن تكوني رئيسا لتحرير المجلة؟

ـ لا أجد وقتا كافيا لإدارتها، وأتابع دراسة ابني في إحدى المدارس الأميركية، أنا أعشق السفر بجنون، وأعشق الجنس الحنون الذي يغيبني في غابات خط الاستواء، ويرفعني إلى أعلى عليين. تعالَ يا يوسف.

أكثر شيء أثارني في جسدها كان قدماها، خاصة مشط القدم المرمري، أصابع القدمين لم تكن أصابع عادية، إنها تضخ عطرا، كأن كل إصبع زجاجة عطر ثمينة.

ضحكتْ وفرحتْ بهذا التشبيه، قالت: معي عشر زجاجات عطر في قدمي.

. إنها زجاجات عطر وخمر، فهي تسكرني كلما نظرت إليها.

. يبدو أنك سكرت فعلا.

ـ لم أسكر من تلك الزجاجات التي أمامنا، لكن سكرت من خمر أصابع قدميك، كل إصبع زجاجة معتقة من العطر والخمر.

دعيني أقبل القدم، وأبدي الندم على أنني تأخرت في التعرف على كنوزك، واكتشاف قاراتك ومناخاتك، والدخول إلى دهاليزك وممراتك.

ـ يوسف .. لقد أثرتني ودوختني بحلو كلامك وحروفك السكرى.

ـ أنتِ التي أسكرتني من قبل أن أرشف الخمر. قدماك هما الطريق الذي سأسير فيه إلى النهاية، أصابعك هي العلامات المعرفية لصناعة العطور العربية، إنها تنزَّ عطرا وتطرح وردا وفلا وياسمينا:

صار الإصبعُ بستانا

فإذا مشتِ الآنَ..

شممنا رَيْحَانا

صعدنا معا وهبطنا، رقصنا وسافرنا وحضرنا، سكرنا ورجعنا وأفقنا، "ليت أنا لا نفيق".

أيقظتُها في الصباح الباكر من لذتها، من نشوتها وغفوتها:

من فضلك أخبري السائق أن يعود بي إلى المجلة؟

. لسه بدري جدا!

. أنا متعود أن أذهب مبكرا إلى العمل.

. لا أريد أن يراك أحد هناك تهبط من سيارتي، فهم يعرفونها.

. إذًا يعود بي إلى سكني، وانا أركب سيارتي من هناك.

. متى ستسافر إلى الأردن، الموافقة وصلت إلى مكتب رئيس التحرير؟

. لم يخبرني أحد.

ـ ربما تجدني هناك في عمَّان، نستكمل تجوالنا في خرائط العشق والسفر.

. والأرجنتين؟

. مؤجلة.

أثناء انتظاري للسائق في بهو القصر، شاهدت تمثالا نادرا لفن النحت العربي من الفترة الأموية، قرأت شرحا بجانبه

يقول: تم العثور على هذا التمثال في قصر هشام بن عبدالملك في أريحا عام ١٩٣٠، وكان معروضاً في متحف الآثار الفلسطيني الذي صادرته مصلحة الآثار الإسرائيلية بعد احتلال القدس عام ١٩٦٧.

. كيف وصل هذا التمثال إلى قصر الجوهرة إبراهيم؟

obeikan.com

ضحكة هندرستمية

توجد دورتا مياه في الشقة التي تجمعني مع بقية الزملاء المحررين. واحدة صالحة للاستعمال، والأخرى تحولت إلى أرشيف ومخزن كراتين وملفات وأوراق وخطابات من القراء ومواد تحريرية وأعداد قديمة من المجلة.

الدورة الصالحة للاستخدام . وهي الأكبر . توجد في نهاية الشقة، بجوار حاجز أو قاطع الزميل أيمن، وكان لا بد لي من المرور إلى جوار مكتبه عندما أريد استعمالها.

أُلقي عليه تحية الصباح أو السلام عليكم، أثناء مروري، أحيانا يرد، وكثيرا لا يرد متعللا بانشغاله وانهماكه في العمل والكتابة والمراجعة، يحلف أنه لم يسمع.

لم أكن الوحيد الذي يتصرف معه هكذا، لكنه كان يفعل ذلك مع كل الزملاء بالدور تقريبا، عندما أخبرت أحد الزملاء

عما يفعله، ضحك وقال: هذه هي طبيعته، فلا تشغل بالك به.

فعلا لم اشغل بالي به كما قررت منذ مجيئي للعمل بالمجلة، وخاصة أثناء الاجتماعات.

كانت دورة المياه الصغيرة التي حوّلت الى مخزن، هي الأقرب لمكتبي. تفقدتها ووجدت أنه من السهولة بمكان إعادتها إلى وظيفتها الأولى بعد تنظيفها، ونقل محتوياتها إلى مكان آخر، خاصة أن هناك أكثر من غرفة مغلقة بالدور نفسه.

أبلغت الفراش الهندي بأن يستعد لأن ينقل محتويات الدورة الصغيرة إلى مكان آخر أكثر اتساعا وأفضل تهوية، ولا توجد به مواسير مياه قد تؤثر على الأرشيف وكراتين الورق والمجلات، إذا أصابها عطب ما.

قال لي: لا بد أن تخبر رئيس التحرير بهذا التغيير.

أمسكت بسماعة التليفون وأخبرت السكرتيرة بما سوف أفعله من تغيير (ثوري) داخل شقة التحرير. ضحكت وقالت: لا تفعل!

. لماذا؟

. لأن زملاء آخرين سبقوك في هذا الأمر، ورفض طلبهم.
. ما الحكمة أن تتحول دورة مياه إلى مخزن وأرشيف؟
. لا أدري، عموما سأبلغه بطلبك عندما يأتي.
بعد حوالي ساعة، اتصلت بي أخبرتني أنه لا يفكر في هذه الأشياء التافهة، (دورة مياه إيه وكلام فارغ إيه؟).

بعد أيام وجدت الزميل أيمن شرف يستدعي بعض العمال، ويغير من أماكن البرفان أو ألواح الألوميتال الخاصة بمكتبه، بحيث يسد الطريق على أي زميل آخر يريد الدخول إلى دورة المياه الكبيرة التي بجوار مكتبه، وكل من أراد الدخول إلى دورة المياه لا بد أن يدخل مكتبه أولا، مما أثار حفيظة الزملاء، وطلبوا اجتماعا مع رئيس التحرير ليبلغوه بالموقف، مطالبين بإيجاد بديل.
ظنّ رئيس التحرير أنني أقود هذا التجمع الخاص بدورة المياه، فطلب تأجيل المناقشة في هذا الأمر لحين الاجتماع القادم.

أخذت أتردد على دورة مياه الحارس بالدور الأرضي، أحيانا أتكاسل وأؤجل الذهاب لدورة المياه طوال وقت الدوام، حتى أعود إلى منزلي، أو أمر على كافتيريا "ساعة صفا".

أكدتُ على علياء أن تضع موضوع دورة المياه على رأس جدول الاجتماعات القادم، فضحكت، وقالت: أول مرة يحدث هذا في تاريخ اجتماعات مجلس التحرير.

. الأمر عاجل وملح، تصوري أنني أنزل من الدور السادس إلى الدور الأرضي لأدخل دورة مياه الحارس.

أبدت تعجبها لكنها لا تملك حلا، الحل في يد رئيس التحرير.

في بداية الاجتماع أبدى رئيس التحرير دهشته وتعجبه من أن يوضع بند لمناقشة موضوع دورة المياه، كأنه أزمة من الأزمات الكبرى بالمجلة.

أوضحت له ما نعانيه جراء ضم دورة المياه الكبيرة إلى مكتب أحد الزملاء، ليحتكرها لنفسه، وفي الوقت نفسه توجد دورة أخرى تم تحويلها إلى مخزن، وأفهمته أنني أنزل إلى الدور الأرضي كي استخدم دورة مياه الحارس.

اعترض قائلا: لديكم دورة مياه في الدور الخامس، لماذا تهبط إلى الدور الأرضي!

ثم طلب الانتقال إلى مناقشة النقطة التالية في جدول الاجتماعات.

ضحكت الجوهرة ضحكة هندرستمية عندما عرفت بحكاية دورة المياه، قالت إن الأمور في المجلة تزداد سوءا وتعقيدا، ولم يحدث مثل هذا من قبل.

لم تعلق على ما فعله أيمن شرف، ولم تتحدث عنه مطلقا في أي مرة زارتني فيها، وكأنه غير موجود بالمجلة، لكنها فتحت حقيبة يدها وأخرجت مفتاحا وضعته على مكتبي: هذا هو مفتاح حجرة مكتبي بالدور الثاني، خليه معك، إذا احتجت لدورة المياه بدلا من اللجوء إلى دورة مياه الحارس.

. مش معقول.

تقلدني: ليش مش معقول. أنا أغلب الأيام غير موجودة في المجلة، على الأقل ستعطي نفَسا لمكتبي، كلما دخلت به.

الدور الثاني به شقتان . ككل أدوار المجلة . شقة تقع فيها مكتبة المجلة التي يشرف عليها زميل سوداني، والأخرى بها مكتب الجوهرة.

رائحة عطور وبخور تعبِّق المكان، وعباءة خليجية سوداء مطرزة بماء الذهب معلقة على علاقة ملابس (شماعة)، لوحات تشكيلية، كتب وأقلام ذهبية، جهاز كمبيوتر وطابعة، جهاز تلفزيون ٣٦ بوصة معلق على الحائط، ثلاجة مكتب ١٠ أقدام، فوتيه يتكون من أربعة كراسي وكنبة تتسع لثلاثة أشخاص. مائدة معدنية ذات سطح زجاجي فميه أسود عليها مبخرة بها قطع من بخور العود الأزرق وعلبة مناشف ورقية.

ثم المكتب الأسود العريض وكرسي المكتب المصنوع من الجلد الأسود الطبيعي، في الخلف تبدو مكتبة تختبئ فيها مئات الكتب والمجلدات الأنيقة، منها قصة الحضارة ليول ديورانت، الأعمال الشعرية الكاملة لمحمود درويش ونزار قباني وصلاح عبدالصبور وأمل دنقل وبدر شاكر السياب ونازك الملائكة وفدوى طوقان، وجلال الدين الرومي، ديوان شعر لي لم أدر من أين أتتْ به، بعض الروايات العالمية مثل "كافكا على الشاطئ" لليابابي هاروكي موراكامي، "شيفرة دافنشي" للأميركي دان براون، "العطر" لباتريك زوسكيند،

بعض روايات نجيب محفوظ، وبهاء طاهر، رواية "الخليج" لمحمد جبريل.

بالإضافة إلى موسوعة وصف مصر لعلماء الحملة الفرنسية، موسوعة الدكتور ثروت عكاشة "العين تسمع والإذًا ترى"، معجم البلدان لياقوت الحموي، معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، وغيرها من الكتب العربية والإنجليزية والفرنسية، كان من بينها الموسوعة البريطانية بالإنجليزية، دواوين بودلير ورامبو ومالارميه بالفرنسية، فضلا عن كتب عن اليابان والهند والصين وجنوب أفريقيا وبلاد أخرى، أكيد تستفيد منها وقت كتابة استطلاعاتها، أو هي إهداء من تلك البلاد عند زيارتها لها.

في نهاية الغرفة توجد أرفف معدنية ذات شكل طولي عليها نسختان من كل أعداد المجلة.

عدم وجود الجوهرة بالمكتب أتاح لي فرصة تأمل محتويات مكتبها، والوقوف على ذوقها وثقافتها الرفيعة، والتجول في أنحاء الشقة/المكتب الواسعة.

توقفت عند بعض اللوحات التشكيلية المعلقة على الحائط وكأنني في معرض أو جاليري للفنون. لفتني لوحة ليدي ليليث للفنان دانتي غابرييل روزيتي، وتحتها كتبت الجوهرة بخطها الأنيق:

"شهد العام ١٨٤٨ ذروة اهتمام أوساط الأدب والفن بشخصية الليدي ليليث الأسطورية بفضل أعمال الشاعر الإنجليزي كيتس.

في الأعمال الشعرية والفنية في ذلك العصر، ترسّخت أسطورة ليليث باعتبارها رمزا للمرأة التي تتمتع بالجمال والذكاء والقوة.

ينظر العديد من النقاد إلى لوحة دانتي غابرييل روزيتي عن ليليث باعتبارها تمثل لحظة التحوّل في تلك الشخصية الأسطورية. كان روزيتي، الإيطالي الأصل، يوصف بأنه مصوّر درامي وباحث عن المعنى وصانع أساطير، ربما تعمّد رسم ليليث بهذه الهيئة الحديثة كي يخلع على أسطورتها مضمونا معاصرا.

ليليث – حسب بعض الروايات – كانت الشقيقة التوأم لآدم، كانت تعيش معه في جنات عدن، وآدم كان ملك الجنة،

كانت ليليث تتطلع إلى أن تشاركه في الحكم غير أن ذلك لم يتحقق رغم أنها كانت تتصف بالحكمة والأناة ورباطة الجأش.

بعد أن أُخرجت ليليث من الجنة، تعلمت من رمز النور المزيد من الحكمة وعاشت ملكةً لليل، إذ كانت تدعو السُمّار والساهرين للرقص والمرح إلى أن يغيب ضوء القمر.

اليوم أصبحت ليليث، بفضل تمسّكها بحرّيتها الشخصية واعتدادها بنفسها وتمرّدها على استبداد الرجل، رمزا للكثير من الحركات النسوية في العالم".

هل تَرى الجوهرة نفسها في ليليث (الجمال والذكاء والقوة)، فعلقت لوحتها وكتبت تعليقها المصاحب. غير أني لم أر لوحة "الموناليزا" على سبيل المثال، التي انتشرت في كل مكان. هل "الموناليزا" من وجهة نظرها امرأة ضعيفة منكسرة، لذا لم تضع صورتها على جدران مكتبها؟ أم لأن صاحبها ليوناردو دافنشي كان مثليًّا، ولم تُعرف له أي صداقة أنثوية، وكان محاطا بجمع متجدد من الصبيان قليلي الموهبة ولكن حسني الهيئة؟

هل هي تعتقد بصحة ما قيل عن ابتسامة الموناليزا الملتوية والبلهاء قليلا، إنها نتيجة لنوع من الضمور النصفي في النصف الأيمن من الجسد، أو لطفرة في الكوليسترول وأزمات الربو؟ وأن المرء قد يجد ابتسامة الموناليزا على شفتي حوت ممتلىء؟ أو قول بعضهم إن هذه الابتسامة الموصوفة أحيانا بأنها ملتبسة وعادية تخفي عجيزة فتى؟

obeikan.com

رقصة التنورة

بدأت أتردد كثيرا على مكتب الجوهرة، سواء كنتُ في حاجة إلى دورة المياه، أو لم أكن. عندما أدخل مكتبها أشعر أنني أدخل معبدا أو صومعة.

أدخل في خشوع وتبتل، أظل أدور في المكان كأنني أرقص رقصة المولويه أو رقصة التنورة، والجوهرة هي المركز الذي أدور حوله. ثم أجلس على أقرب كرسي فوتويه، في شبه غياب تام عن الكون.

في حمَّامها أجد زجاجات العطور النسائية، ومراود الكحل وزجاجات المانيكيير بكل الألوان، لا أحبذ اللون الأرزق أو الأخضر في المانيكيير، اللون الأحمر هو لوني المفضل، خاصة على أصابع يديها وقدميها. كما أجد أشياء أخرى نسائية، لم تهتم بإخفائها عني، خاصة عندما عرفت أني دائم التردد على مكتبها.

openkan.com

عرف رئيس التحرير أنني أتردد على مكتبها، في أثناء غيابها، لكنه لم يستطع التفوه بكلمة، هو نفسه لم يدخل مكتبها على الإطلاق منذ أن جاء للعمل بالمجلة، ولا يعرف محتوياته مثلما أعرف الآن وأحفظ ما به من أغراض نسائية وغير نسائية.

عندما تتصل بي علياء على مكتبي بالدور السادس لأمر ما، ولا تجدني، تتصل بي على رقم مكتب الجوهرة. في البداية لم أكن أرد على التليفون الخاص بها. لكن عندما أرسلت الساعي الهندي ليسلمني موضوعات محولة لي من مكتب رئيس التحرير، أدركت أنها تعرف أين تجدني، فصرت أرد على التليفون كلما رنَّ في مكتب الجوهرة.

في تخابث لبناني قالت لي علياء ذات مرة، إنني يجب أن اقتسم مكتب الجوهرة وأجلس فيه، فقلت لها: أنت أدرى بالمشكلة، الزميلة وافقت مشكورة على استعمال دورة مياهها الخاصة.

ـ ولكنك تتردد عليها كثيرا، هل عندك مغص وإسهال هذه الأيام؟

ـ هههههههه .. ليس لهذه الدرجة، ولكن – بيني وبينك – أجد راحة نفسية في حجرة مكتبها، ويهبط علي وحي الكتابة.

ـ أرجو ألا ينقطع الوحي بعد أن تخرج من غارها .. أقصد من مكتبها.

على غير ميعاد جاءت الجوهرة إلى مكتبها، وجدتني أرقص التنورة، تسللتْ في هدوء جلستْ حتى انتهيت وارتميت على أقرب كرسي. ظلت صامتة تتأملني، عندما أدركتُ أنها موجودة، شعرت بالخجل، قامتْ وقبلتني.

سألتني: ما الذي تفعله؟

. ارقص.

. أدري أنك ترقص، لكن لماذا هذه الرقصة المتعبة؟

ـ وأنا أرقصها أحس أنني أدور حولكِ، وأنك مركز الكون بالنسبة لي، فأنتِ مولاتي.

ـ إذًا فلنرقصها معا الليلة. سأرسل لك في المساء سائقي الخاص.

النبطي

عدت من رحلة البتراء بالأردن، وأنا شخص آخر، ربما أكون قد ولدت هناك في الماضي السحيق، ربما كنت هناك من قرون وقرون دون أن أدري، ربما الجوهرة هي التي رأيتها هناك منذ آلاف السنين، ربما وربما وربما، سأكتب كل هذا في الاستطلاع الذي أود أن يكون على غير ما تكتبه الجوهرة في استطلاعاتها، لا بد أن أكون مختلفا، سألتقط صورا بزوايا مختلفة وعلى مستويات متفاوتة من الإضاءة والظلال والألوان، لا بد أن تختلف صوري عن صور الاستطلاعات السابقة، لا أريد أن أضع صوري الشخصية مع صور الرحلة والأماكن البكر التي رأيتها، فلأترك التاريخ يتحدث، ولأترك القارئ يسبح بخياله في أعماق الزمان والمكان، دون أن أشوهه بصور حديثة حتى لو كانت لي كمحرر صاحب الموضوع.

ذهبت إلى عمَّان فوجدت الجوهرة تقيم في جناح خاص بالفندق نفسه، كانت تعلم بميعاد وصولي ورقم الغرفة التي

سأنزل بها. بعد أن صعدتُ إلى الغرفة وجدتها تتصل بي، لتبلغني بميعاد تحركنا إلى مدينة البتراء في الصباح الباكر قبل أن يصعد قوس الشمس إلى السماء، لأننا سوف نتجول ونمشي كثيرا على أقدامنا. واضح من كلامها أنها سبقت أن زارت المنطقة.

قلت لها: أريد أن أرتاح قليلا من عناء الرحلة.

ـ عمَّان يا حبيبي لا تبعد عن الخليج كثيرا، رحلتك كانت قصيرة جدا. جئت على درجة رجال الأعمال بالطائرة، أي لا شكوى على الإطلاق مما تسميه عناء الرحلة، إلا إذا كنت لا تريد أن تراني الليلة.

. أريد طبعا .. الآن وقبل أي وقت آخر.

. لا .. أنا سأنتظرك في جناحي في التاسعة مساء، لنقضي السهرة معا.

. والبتراء؟

. البتراء غدا في الصباح الباكر.

كأنني كنت هنا منذ آلاف السنين، حينما كنت أعيش في العصر الحجري، لم أجد أروع من البتراء لأسكن فيها،

وأعيش في كهوفها الصخرية الوردية متحصنا من هجمات الرياح والأمطار والحيوانات المفترسة.

كأنني كنت هنا أسير بين الجبال الشاهقة، أمشي في الشوارع الحجرية الناعمة، أنشد شعرا في المدرجات الواسعة، أشاهد الأنثى على فطرتها الهامسة، أنظر في عينيها الواسعتين كبحرين ونهرين يفيض الماء منهما، فأشرب ويشرب معي الصخر اللازب، فيذوب رقة وحنانا، يصعد إلى قمة الجبل الذي سمي فيما بعد جبل موسى.

هنا عرفت كل أنواع الصخور والحجارة، صادقتها فمنحتني سر النار والخلود، لم تعاقبني الآلهة مثلما عاقبت بروميثوس في بلاد أخرى غير بلاد الأنباط، عندما سرق النار من الآلهة. أنا لم أسرق نارا لكن الأحجار هي التي كشفت لي أسرارها، شفرات مائها، فعشت أجمل أيامي بين الماء والنيران، متوجا بهامات الصخور والجبال.

أنا النبطي القادم من أعماق التاريخ، والكتبي الذي رأى ما لم يره غيره في الصخر والحجر. منِّي عرف الفراعنة سر بناء

الأهرام من الأحجار، فبنوا معابدهم ومسلاتهم ونقشوا على الأحجار مدوناتهم، شيدوا أهراماتهم الكثيرة والمتعددة أطلقوا عليها أسماءهم. ولا أذيع سرا عندما أقول إن هناك أهراما أخرى لم يكتشفها المصريون بعد مليئة بالخيرات والكنوز الرائعة.

لقد شيدت مدينتي الكاملة في قلب الجبال والصخور، حفرت مساكن قبيلتي وأبنائي في أعماق الجبل الصخري الشامخ الذي يتحدى الدنيا وصواريخها وقنابلها التي سيخترعها أحفادي فيما بعد.

لقد دونت كل هذا في صحيفتي التي أطلقت عليها اسم "الكتبي" حيث علمني ربي الكتابة على الصخر والنقش في الأحجار. بعد آلاف السنين يأتي أحفادي في الأردن ليصدورا نشرة تعريفية تصدر عن الهيئة العربية للثقافة والتواصل الحضاري "بيت الأنباط"، ويدشنون على ما يسمى "شبكة الإنترنت" موقعا يشتمل على معلومات وافية عن أنشطتهم وبرامجهم، وأشكرهم على أنهم يعتنون بي وبأخباري وينظمون المؤتمرات عني ويصدرون الكتب.

من أهم تلك الكتب التي قرأتها مترجمة إلى العربية فيما بعد كتاب "تطور الخطوط والكتابة العربية من الأنباط إلى بدايات الإسلام"، حزنت لأن شخصا أجنبيا اسمه بياترس جرندلر هو الذي ألفه باللغة الإنجليزية، لم يكن عربيا أو نبطيا من صلبي، لكن حفيديَّ الدكتور سلطان المعاني والدكتورة فردوس العجلوني قاما بترجمته إلى العربية.
تأتي أهمية الكتاب من كونه أحدث الكتب باللغة الإنجليزية التي تناولت تطور الكتابة والخطوط العربية، واستند إلى منهجية علمية صارمة في تتبعها التاريخي بالاستفادة من التراث العلمي في هذا المجال.

يحتوي الكتاب على خمسة فصول وملحق برسومات ولوحات توضيحية تبين تطور الحروف العربية وفضل الأنباط في هذا الإنجاز الثقافي الذي حول اللغة العربية من لغة محكية بدون كتابة إلى لغة مكتوبة.
طبعا هناك كتب أخرى صدرت عني وعن العصر الذي عشت فيه في "بيت الأنباط"، سأذكر بعض هذه الكتب ومؤلفيها ونبذة قصيرة عنها، إذا أردتم الاستزادة فاتصلوا

بحفيدي محمد الحسنات في بيت الأنباط بالبتراء، أو زوروا موقع بيت الأنباط على الشبكة التي تسمى بالعنكبوتية

www.baitalanbat.org

كتاب "عهد الحارث الرابع" لحفيدي مسلم الرواحنة، عبارة عن دراسة في مجموعة خاصة من المسكوكات النبطية في عهد أحد أبنائي وهو الحارث الرابع.

كتاب "مملكة الأنباط" لحفيدي الدكتور خالد الحموري، عبارة عن دراسة في الأحوال الاجتماعية والاقتصادية. يستعرض الكتاب جغرافية المملكة التي كنت أعيش فيها، وهي مملكة الأنباط، وحدودها وعروبة الأنباط وأصولهم، أقصد أصولنا، وأنواع الزواج عندنا وأنماطه التي سادت في ذلك المجتمع القديم جدا، وكذلك الطلاق، مع أننا لا نحبذ الطلاق على الإطلاق، لأن المرأة ذلك الكائن الجميل الذي يشبه الطيور التي تحلق في سماء جبالنا، لا يجوز لنا أن نتركها تحلق وحدها بعد أن عشنا معها أجمل الأيام.

على كل حال فقد كانت حالات الطلاق قليلة جدا، حاول حفيدي الحموري أن يلامسها بذكاء، كما أنه تحدث في هذا الكتاب المهم عن الإرث والأعياد، واحتفالاتنا الوطنية

والدينية والرسمية والشعبية، لكنه لم يذكر اسمي ضمن هذه الاحتفالات.

يبدو أن الحموري لم يعرف أنني أنا الذي كتبت قصائد وأشعار تلك الاحتفالات جميعا، وأن اسمي محفور على الصخور الوردية التي تميل إلى اللون الأزرق، سوف يجد تلك الصخور على بعد عدة أمتار من التمثال الذي نحتته الطبيعة لأمي وهي واقفة في شموخ وتحد لكل عوامل الطبيعة القاسية التي تمر على لياليا وأيامنا في بعض الأحيان.

في لحظة انسجام ووفاق بين أمي والطبيعة نحتت الأخيرة تمثالا بديعا لأمي، لكن عندما شاهدته مؤخرا وجدت أن طبيعة القرن الحادي والعشرين بدأت تنال منه بعض الشيء، لكني لم أحزن، فهناك آلاف الأجانب يعرفون ذلك ويأتون يوميا ليلتقطوا صورا مع تمثال أمي.

شاهدت إحدى السائحات الأجنبيات الجميلات تحتضن تمثال أمي بشدة وتبكي، فتوهمت أنها ابنتها، كنت على وشك أن أسألها: هل أنت أختي؟

غير أنني لاحظت أنه لا يوجد شبه بيني وبينها فهي بيضاء كالقشدة، وعيناها خضراوان مثل البرسيم، وأنا أسمر مثل الصخر الذي كنت أعيش بداخله، وعيناي سوداون مثل قطعة الفحم. إذًا لماذا تبكي تلك السائحة أمام تمثال أمي؟ هل تعتقد أنها السيدة مريم العذراء، فهناك شبه بين أمي وبين العذراء في طيبتها وجمالها وسكينتها واستسلامها لقضاء الله وقدره وأوامره، ولكن أمي لم تكن عذراء، وإلا ما كانت أتت بي، فأنا لست المسيح.

وعلى الرغم من أنني كنت أجد في كهف أمي فاكهة في غير أوانها، وماء باردا في الزير الذي صنعتُه بعد رحيل أبي في أوائل شبابي، وخضارا وأحجارا غريبة تضيء في الليل قالت لي إنها تهبط من السماء في أيام معلومات، وأن الحجر الأسود في الكعبة بمكة المكرمة واحد منها، فإنني لم أعتقد يوما أنها مريم العذراء.

أخذتني أمي ذات صباح مشرق إلى نهر الأردن وسبحتُ معها، وخرجتُ منه كأنني أولد من جديد بغير خطايا ولا ذنوب، وكذلك هي. عندما عدنا إلى منزلنا الصخري في البتراء، رأيت الناس ينظرون إلينا في دهشة وإكبار، وكأننا

أصبحنا نبيين، ورأيت طفلا صغيرا يلمسني ويضحك ضحكة ملائكية لم أر مثلها حتى الآن، وفجأة اختفى هذا الطفل.

أما نساء البتراء فقد نزلن من كهوفهن وقبَّلن أمي بحرارة شديدة، كأنها عائدة توا من الحج، أو عائدة توا من عند الله، أو من رحلة مثل الإسراء والمعراج الذي سيقوم بها رسول الله محمد فيما بعد.

كن ينظرن إليَّ نظرة فيها نوع من الجرأة غير العادية، كأن كل امرأة تدعوني لنفسها، أخذت أفكر في النبي يوسف الذي لم يكن قد أتى إلى الدنيا بعد. ألقى الله في قلبي قصة يوسف مع امرأة العزيز التي سترد في القرآن الكريم فيما بعد، رأيت نساء مصر اللواتي قطعن أيديهن بدلا من أن يقطعن التفاحات.

عندما سمعتُ امرأة العزيز تقول لهن {فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَ مِنَ الصَّاغِرِينَ} خفت كثيرا جريت إلى كهفي بكيت في تلك الليلة كثيرا، عاد إليَّ الطفل الذي لامسني بضحكته الملائكية، وهدأ من روعي، ولامس شعري فغفوت طويلا. واستيقظت على نبأ رحيل أمي.

هل كانت السائحة الأجنبية تعلم كل هذا، لذا بكت عندما رأت تمثال أمي؟ أم أنها من النسوة اللواتي رأيننـي في قصر الفرعون متماهيا مع يوسف الصديق، وعرفت قصتي وأرادت أن تكفر عن ذنبها بالبكاء أمام تمثال أمي؟

كل هذا لم يذكره حفيدي الدكتور خالد الحموري في كتابه "مملكة الأنباط" على الرغم من استعراضه للمعتقدات الدينية لنا، ودراسته لآلهتنا ومعابدنا وطقوسنا الدينية.

ذكر الحموري أن أحفادي وجدوا على إحدى الصخور صورا لأشخاص رافعين أيديهم في وضع دعاء أو صلاة وتراتيل، ولكنهم لم يعرفوا أن هذه الصور لي ولأمي، أثناء عودتنا من نهر الأردن.

نترك الحموري وكتابه لألتقي مع حفيدي الدكتور أحمد العجلوني وكتابه "حضارة الأنباط من خلال نقوشهم"، حيث يحاول قراءة ملامح حضارتنا من خلال وثائق الأنباط أنفسهم المتمثلة في نقوشنا.

يذكر العجلوني أن الرحالة بيركهارت اكتشف البتراء في عام ١٨١٢ موضحا جهود الرحالة والمستشرقين في تعريف

العالم الغربي في القرن التاسع عشر بهذه المدينة، لكنه لم يذكر أنني كنت هنا منذ آلاف السنين، أنني كنت أتنقل من البتراء إلى الحجر وسيناء والنقب وأم الجمال وحوران ومكة ويثرب وغيرها من الأماكن التي عشت فيها إلى أن حط بي التاريخ والجغرافيا في مدينة على البحر المتوسط هي الإسكندرية التي بناها أحد أحفادي من غير العرب هو الإسكندر المقدوني الذي منحتُه لقب الإسكندر الأكبر، وأشرتُ عليه أن يزور معبد سيوه ويصادق آلهة المصريين ليكسب ود الشعب المصري القديم. بعد وفاته في بابل أسرَّ لي خليفته بطليموس الأول عن المكان الذي يخبئون فيه كنز الإسكندر.

إنني أحمل الكثير من الأسرار الكونية التي لا يمكنني أن أكشف عنها دفعة واحدة، وإلا لتغير وجه الأرض، سقطت الجبال من عليائها خسفت الشمس، تغير مسار الأقمار التي تجوب الفضاء بحثا عني".

****

متأرجحا بين اليأس من موافقة رئيس التحرير على النشر، والأمل في نشره، سلّمت نسخة من الاستطلاع ومن الصور إلى سكرتيرة رئيس التحرير، كما أرسلت نسخة للجوهرة بالإيميل لتطلع عليه، تحسبا لرفض رئيس التحرير.

اتصلت بي السكرتيرة، أبلغتني بأن رئيس التحرير يريدني أن أصعد إلى مكتبه.

رحب بي وكأنه يراني لأول مرة، سألني عن سير الرحلة، أخبرني أن هذه هي المرة الأولى التي يسافر فيها محرر عربي غير خليجي في عهده، لإجراء استطلاع بالخارج، أضاف أن الزميلة الجوهرة إبراهيم احتكرت الاستطلاعات منذ أن جاءت للعمل بالمجلة.

شممتُ في كلامه شيئا غير مريح ناحية الجوهرة، قلت له: أليست هي محررة الاستطلاعات بالمجلة؟

ـ نعم .. هي تحب ذلك لتسافر على حساب المجلة باستمرار، لكن تضيع فرصا على زملائها الآخرين. اقترحتُ على المسئولين في الوزارة أن نوفر تكاليف سفر هذه

الاستطلاعات ونعتمد على كتَّاب من البلد نفسه الذي نريد أن نجري استطلاعا عنه، وأهل مكة أدرى بشعابها.

. ماذا قال المسئولون في الوزارة؟

ـ في البداية وافقوا على اقتراحي، ثم تم تكليفها بالسفر إلى نيجيريا لعمل استطلاع عن المسلمين هناك؟

. كيف؟

ـ لا أدري .. إنها على صلة وثيقة بوكيل وزارة الثقافة والإعلام، ولا يستطيع أن يرفض لها طلبا.

. وماذا عنك؟

ـ أنا رئيس التحرير، أي مسئول عن المادة التحريرية التي تنشر بالمجلة، ولكن هناك مسئولين إداريين وماليين ووكلاء وزارة، يتدخلون أيضا في عمل المجلة.

. إذًا لماذا رفضتَ نشر موضوعي عن المغتربين في الخليج؟

ـ شككت أنه قد يجلب لنا مشاكل فهو موضوع حساس ولم نناقشه من قبل في المجلة، أرى أنه بعيد بعض الشيء عن المواد الثقافية التي اعتدنا نشرها، فاعتذرت عن نشره تحسبا لأي وجهة نظر مخالفة.

. لكنه نُشر ولفت الانتباه والأنظار، ولم يعترض أحد.

. قال ضاحكا: تقصد أنه نشر رغما عني! أنا عموما كتبت مذكرة لوكيل الوزراة بأنني غير راض عن نشر التحقيق الخاص بالمغتربين في الخليج، رغم ذلك جاءتني موافقته بنشر الموضوع، فليتحمل هو المسئولية.

ـ إذًا ما رأيك في موضوع الاستطلاع عن البترا؟ لقد سلمته للسكرتيرة صباح اليوم.

. لذا دعوتك إلى مكتبي.

. نعم

ـ الموضوع مكتوب بحرفية شديدة جدا، لغة أدبية عالية ورصينة لم نتعود عليها في استطلاعات المجلة من قبل. الاستطلاعات سابقا كانت مجرد تجميع مادة صحفية من هنا وهناك، من مواقع سياحية بالإنترنت، ومجموعة من الصور التي نجد لها مثيلا في النشرات السياحية، لكن موضوعك مختلف، مما قد يثير ملاحظات زميلتنا الجوهرة محررة الاستطلاعات.

ـ أكيد لا بد أن يكون هناك اختلاف، فأنا ليس هي، ولكل أسلوبه ولغته.

. أنا أشَّرت على نشره في العدد القادم.

obeikan.com

. ورأي الزميلة محررة الاستطلاعات؟

. لا أعتقد أنها سترفضه، ثم أنا رئيس التحرير.

استإذَات في الانصراف من مكتبه، وأنا على يقين تام بأن هناك صراعا ما بينه وبين الجوهرة.

جاءني صوتها عبر الهاتف: يوسف كيف كتبت هذا الاستطلاع؟

. بالكيب وورد (لوحة المفاتيح) على الكمبيوتر مباشرة.

. لا أسألك عن الوسيلة، أسألك عن الكيفية، عن الإلهام. أي إلهام جعلك تكتب هذا الكلام.

. إنت الإلهام .. كنتِ معي فألهمتني.

. فعلا كنتُ معك، وأحس أنني تلك الأم التي كتبتَ عنها.

. لو أنتِ صاحبة الاستطلاع، ماذا كنتِ ستكتبين؟

. كنت سأكتب كلاما آخر مثل كل الاستطلاعات السابقة.

. لكن المنطقة والمدينة الحجرية فريدة من نوعها، إنها ملهمة بالفعل.

ـ ربما كان إحساسي سيختلف عن الاستطلاعات الأخرى، لأنكَ كنتَ معي.

ـ مع أنك كاتبة جيدة، تجيدين وصف المشاعر ووصف المناظر والتعليق عليها، كما قرأت لك في الاستطلاعات السابقة.

ـ أقول لك مخلصة .. أحس أنني تلك المرأة التي كتبت عنها، ليست السائحة، لكن الأم.

. وأنا لدي إحساس غريب وقوي بأنني ذلك الفتى.

. يبدو أنك ابني ...

. ربما ..

. ضاحكة: ربما .. كيف؟ ستذكرني بأوديب الذي نام مع أمه وقتل أباه.

. أنا نمتُ معك، ولم أقتل والدي!

ـ إذًا أين الأب، إنك لم تتحدث عنه، إنه غير موجود في الاستطلاع على نحو فاعل. أنت قتلت الأب يا يوسف!

ـ يا نهار أزرق .. لا .. لا .. سنقلبها دراما؟ يا ستي أنا لم أقتل أحدا. أنت التي قتلتني بحبك وجسدك وعطر أنوثتك.

ـ ضاحكة في غنج: ليس وقت الغزل الآن .. هل سلمت الاستطلاع لرئيس التحرير؟

. نعم .. سلمته نسخة مطبوعة على الورق مع الصور، قال إنه سينُشر في العدد القادم.

. يوسف لا بد أن تكون أنت رئيس التحرير، لن ننتظر رأي شخص ما في شغلك وكتاباتك، هل ستنشر أم لا. إنه شخص ضعيف الشخصية، لذا يرسل وراء العاملين بالمجلة من يتجسس عليهم، ويبلغه بأخبارهم. أنه كان يفعل الشيء نفسه معي، ويرسل من يتجسس عليَّ، لكني أوقفته عنده حده، كدت أطيح به من المجلة.

لو لم أكن قد تدخلت في المرة السابقة لما نشر موضوعك عن الغربة والمغتربين في الخليج. لو لم أكن موجودة في الخليج الآن لما وافق على نشر استطلاع البتراء.

لا بد أن تكون أنت رئيس التحرير بكل الامتيازات، أتفهمني! أنت أصلح من يتولى هذا المنصب الآن.

. كيف ..؟

. كيف هذه .. اتركها لي.

هارد ديسك خارجي

تعطل جهاز اللابتوب عن العمل فجأة، لم أستطع غلقه ولا فتح أي ملف به، بذلت كل المحاولات ضغطت على كل المفاتيح التي أعرفها والتي لا أعرفها، لم يستجب، نزعت عنه الكهرباء، أخرجت البطارية الداخلية، أعدت تشغيله، لم يعمل.

كنت أُحضره معي كل صباح، بعد أن يئست من تسليمي جهاز كمبيوتر مكتبي مثل كل الأجهزة التي عند الزملاء.

في كل مرة يقول رئيس التحرير، لك جهاز في الدفعة القادمة. تأتي الدفعة القادمة ولا أحصل على شيء، يتعلل بأن لي جهازي الخاص الذي أحضره معي كل صباح، يطالبني بالصبر قليلا.

طلبت طابعة للجهاز، ماطل أيضا، اضطررت إلى شرائها من جيبي الخاص، وضعتها على مكتبي بعد أن عرّفت جهاز اللابتوب عليها.

عندما طلب مني كمال حسين (موظف الدعم الفني) أن أشارك في شبكة أجهزة المجلة لنكون على اتصال ببعضنا البعض، رفضت، قلت له: عندما يكون لي جهاز مثلكم أشارككم، أما هذا الجهاز فهو ملكية خاصة، لا أريد أن أشارك به في الملكية العامة لأجهزة المجلة.

نقل هذا الكلام إلى رئيس التحرير، قال: يبدو أن لديه أسرارا على جهازه يخشى أن نتعرف عليها من خلال الشبكة الداخلية للأجهزة.

اضطررت إلى اللجوء لكمال حسين لإصلاح الجهاز، فطلب مني أن يصلحه في منزلي، أو على المقهى بعد الدوام، وليس في مقر المجلة، لأنه ليس من أجهزة المجلة.

وافقته، قلت له: معك كل الحق. وصفت له منزلي، حضر في الميعاد المحدد، أخذ يعالج الجهاز، يتعرف على الأنظمة والملفات، ينظر في المسارات والمجلدات والبرامج، يفعل كل ما يريد، أخيرا قال لي: هناك الكثير من الفيروسات والعطب

بالملفات، يلزمك إنزال نسخة ويندوز جديدة؟ قلت على الفور: ما يخالف هل معك نسخة لإنزالها الآن؟

ـ أنا قادم معي كل الاستعدادات لإصلاح أي عطب، وإزالة أي فيروس، معي كل النسخ والبرامج، لكن الإنزال يحتاج إلى بعض الوقت.

. أنزلها، إذا لم يكن وراءك شيء، فأنت تعرف أنا لا أستطيع الاستغناء ليلة واحدة عن الكمبيوتر، ليس عندي جهاز آخر غيره. سأعد لك شايا ثم نطلب عشاء من المطعم، ما دام الأمر سيستغرق وقتا كما تقول.

كنت أتابعه من المطبخ، وهو يحمِّل ملفاتي على هارد ديسك خارجي، لا أكاد أرى أصابعه من حركتها السريعة، لا أعلم على أي زر يضغط، ربما يضغط على عشرين زر في الضربة الواحدة.

عندما سألته عن ضرورة وأهمية نقل الملفات قال: حتى يكون لدينا نسخة احتياطية، قبل إنزال الويندوز الجديد.

بدأ الشك يتسرب إلى عقلي. إنها فرصة ذهبية كي يُطلع رئيس التحرير على نسخة من ملفاتي المخزنة على الجهاز منذ سنوات (جاءته على الطبطاب) ودون أن يسعى إلى

ذلـك، ويضـع خططـا ويكلـف أشخاصـا بمراقبـة جهـازي الخاص.

لكي أُبعد الشك سألت كمال: هل ستمسح تلك الملفات من على الهارد الخارجي بعد استعادتها على جهازي؟

. بالتأكيد.. هذه أسرار لا ينبغي لأحد الاطلاع عليها.

بعد يومين قابلته في مصعد المجلة، يحمل الهارد الخارجي في يده، ما لفتني أنه كان يحاول أن يخبئه عندما وجدني في المصعد، كان صاعدا به للدور السابع.

obeikan.com

شاشي الهندية

بعد رحيل منسق المجلة إلى شقته، بدأت أستعين بحارس العمارة المصري في عملية تنظيف الشقة، وأحيانا الطبخ الذي لم يكن يجيده.

الحارس ماهر سمعان، يذهب إلى الكنيسة صباح كل أحد، يصلي ويلتقي المصريين المسيحيين هنا.

هو يعرف أنني أذهب إلى عملي في السابعة صباحا، ينظف لي السيارة، يمسحها كل يوم مقابل مبلغ معين في نهاية كل شهر. عندما وصف لي مكان الكنيسة أخبرته أنها في طريقي للعمل، اتفقنا أن أحمله صبيحة كل أحد إلى هناك ليشارك في عملية تنظيف الكنيسة ومسح الكراسي والممرات والفناء الواسع، قبل حضور المصلين.

سألني: لماذا لا تجئ عائلتك للعيش معك؟

. ليس لي عائلة، لم أتزوج بعد يا ماهر.

obeikan.com

ـ أنت تحتاج من يخدمك أفضل مني، أنا لا أجيد الطبخ، وأنت تعتمد كثيرا على المطاعم والوجبات الجاهزة السريعة، لكن أكل البيت أفضل.

ـ طبعا أفضل وصحي عن أكل المطاعم، وقلت ضاحكا: أنت لا تجيد هذا الأفضل.

. أنا أطبخ على قدي. أنت بحاجة إلى طباخة ماهرة وخادمة تنظف لك المنزل مرتين في الأسبوع على الأقل..

. طباخة .. وخادمة؟

. لا .. واحدة تكفي .. تنظف وتطبخ.

. وأين أجدها؟

. كثيرات إذا أحببت.

. هل تعرفهن؟

. بحكم عملي في العمارات أعرف الكثيرات منهن: مصريات وهنديات وفلبينيات وأثيوبيات وسوريات إذا شئت!

. لا .. خلينا في المصريات، لا أحب سوى الأكل المصري.

. إذًا سأتفق لك مع خادمة مصرية تأتي لك في المساء لتراها وتتفق على الأجر الشهري، أو الأسبوعي. حسبما ترى.

في المساء دقّ الحارس جرس الباب، ومعه امرأة مصرية بدينة. قال: الست أم نورا ستخدمك بعينيها.

. أهلا أم نورا.

. أهلا يا بيه. طلباتك.

. أريدك الحضور مرتين في الأسبوع لتنظفي البيت، وتطبخي طبخة حلوة من يديك الحلوة.

. وكم ستدفع؟

. سأدفع كذا.

. لا يابيه .. قليل.

. اقترح ماهر أن أدفع المبلغ نفسه، على أن تأتي أم نورا مرة في الأسبوع بدلا من مرتين.

. وافقتْ هي، وأنا رفضت.

بعد يومين أتاني ماهر بفتاة هندية، سمراء وليست بدينة كالمصرية، كان قد اتفق معها على مبلغ أقل بكثير، نظير أن تأتي مرة في الأسبوع وليس مرتين. سألتها: هل تجيدين طبخ الأكل المصري.

ـ نعم بابا .. أنا اشتغل في بيت مصري كتير. أنا أطبخ ملوخية زين، أطبخ بامية زين، أطبخ كوسة زين، بطاطس زين..

. خلاص خلاص .. كله زين زين. أنتِ كمان زين.

وافقتُ على حضور شاشي الهندية صباح كل خميس، حيث سأكون في الدوام وأترك مفتاح الشقة، إما مع الحارس ماهر سمعان، أو تحت دواسة مدخل الشقة بالخارج، عندما تنتهي من عملها، تسلم المفتاح لماهر أو تتركه في المكان نفسه.

كان نفَسُها في الأكل جيدا، أكل مصري فعلا، ليس به أي توابل هندية حيث أكدتُ عليها أن لا تضع أي توابل أو شطّة. كانت تهتم بنظافة الشقة جيدا، خاصة بعد أن يهب الطوز (الرياح المحملة بالأتربة التي تدخل من الشقوق والمسام).

اجازة العيد الوطني كانت يوم خميس، مكثتُ في المنزل، ولم أُخرج المفتاح كالعادة خارج الشقة. في الصباح الباكر وجدت جرس الباب يرن، قمت من نومي لأفتح فوجدت شاشي أمامي، ترتدي الساري الهندي الذي يظهر بطنها العريان وظهرها الأسمر.

. سلام بابا.

. سلام شاشي.

. كيفك بابا؟

. زين شاشي.

. بابا ما يروح دوام اليوم؟

. اليوم اجازة .. عيد.

. اه بابا. انا مو مسلمة. أنا بوذية بابا. أنا أحب بوذا كتير. بوذا كبير، أنا أصلي لبوذا.

. لا يهم. اليوم العيد الوطني وليس عيد المسلمين. المهم أنك تنظيفين زين وتطبخين زين، ما في بوذا هنا.

فرحتْ شاشي من ثنائي على عملها، دخلت المطبخ تعد الطعام وهي تغني غناء هنديا بصوت رائع كما هو في الأفلام الهندية، بل أروع، وأنا دخلت غرفة النوم، أخبرتها أن تنظف الشقة بهدوء لأنني سأكمل نومي.

أنهت شاشي عملها بعد ساعتين، أعدت لي الأفطار وكوبا من الشاي بالحليب، وضعته على مائدة في الصالة، كنت قد استيقظت من نومي، ودخلت الحمام.

. أنا خلاص بابا .. في شي تاني؟

obeikan.com

. لا .. شكرا شاشي.

نظرت لي نظرة ذات ايحاء وقالت: بابا ما يريد شي تاني؟

. ما أريد .. شكرا ..

. بابا ما يريد نوم؟

. أنا لسه صاحي من النوم.

. ما هذا نوم بابا. أنا آبي نوم سوا سوا.

فهمتُ ما تريد فقلت لها دون توبيخ: مو الحين شاشي.

. متى بابا يريد نوم؟

. أنا لمَّا أريد نوم .. أسوّي تليفون انتِ تيجي شاشي.

ـ حرام بابا .. انت ما في حرمة معك بابا. لازم نوم كل اسبوع. انت ما في ماما ليش بابا؟

. ما في ماما .. لأن ما في زواج شاشي.

. أنت في نوم مع حرمة تانية؟

. ما في شاشي.

ـ ليش بابا؟ ونظرت إلى نصفي الأسفل وقالت: أنت زين بابا.

. ليس الآن .. أنا أروح بره بعد واحد ساعة.

. خلاص بابا .. لما تبي نوم سوي تليفون أنا آجي.

obeikan.com

مدت يدها بالسلام، فمددت يدي، فقبلتْها وقالت: أنا زين بابا. كله زين هنا وهنا وهنا، مشيرة إلى أجزاء معينة في جسدها الأسمر الملتهب، فأثارتني.

. هل تبي فلوس شاشي؟

. لا أنا ما أبي فلوس بابا.. أنا أبي نوم زين بابا.

ثم خلعت الشال الهندي فظهرت بعض مفاتنها وروائحها الهندية الساحرة، واتجهتْ نحو غرفة النوم، وتمددتْ على السرير وهي تشدني فوقها، فلم أستطع المقاومة.

درس خصوصي

يوم الجمعة بالنسبة لي هو عيد صغير (عيد اليوم الواحد) أصحو فيه متأخرا، استحم استحماما كاملا، أبدل أثوابي الداخلية، أدهن جسمي بالطيب، أبدأ في تجميع ملابس الأسبوع، أضعها في الغسالة الفول أوتوماتيك.

أخرج من الحمام، أعد وجبة الإفطار التي غالبا ما تتكون من برتقالة، حبات فول من علب الفول المحفوظة بالثلاجة، بيضتين مسلوقتين، قطعة جبن لافش كيري، كوب شاي بالحليب، ثم فنجان قهوة مضبوطة السكر.

أتناول فنجان القهوة بجوار النافذة الألوميتال المغلقة التي تطل على ميدان واسع به ساحة كبيرة لانتظار السيارات. من كثرة السيارات بالساحة أقول: إن كل الناس في بيوتها الآن، لم يخرج أحد بعد.

obeikan.com

مدخل العمارة التي أسكنها به أكثر من صالون استقبال، من الممكن أن يستقبل الساكن زائريه فيه، إذا لم يشأ أن يصعد الزائر إلى مسكنه، أو لينتظره به ثم يخرجان معا، بدلا من الوقوف في الشارع في أجواء خليجية تتميز بارتفاع درجة حرارتها في معظم شهور السنة.

شقتي تقع في الطابق السابع وليس الأخير، يتكون الطابق من ثلاث شقق، الشقة التي على يميني أخبرني الحارس أنه يسكنها شاب سوري متزوج حديثا، الشقة التي على يساري بها عائلة مصرية صعيدية من سوهاج، كنت ألتقى أطفالها الثلاثة في المصعد وهم ذاهبون إلى المدرسة القريبة من العمارة، وحين عرّفوني على أسمائهم: عبدالله وعبدالرحمن وعبدالمجيد، ابتسمت من تكرار اسم عبد (فخير الأسماء ما حُمّد وعُبّد)، وعندما سألت عن اسم أبيهم، قال عبدالله إن اسمه عبدالفتاح، وأنه يعمل بالمطافئ.

بعد تناول الإفطار دق جرس الباب، خشيت أن تكون شاشي الهندية، جاءت في هذا الوقت المبكر، رغم أنها

كانت موجودة بالأمس. اتفاقي معها أن تأتي مرة واحدة في الأسبوع، فتحت الباب فوجئت بعبدالله، يطلب إلي مساعدته في فهم درس اللغة العربية. دعوته للدخول، سألته: كيف عرفت أنني مدرس لغة عربية؟

. إنك كل يوم تنزل معنا في نفس توقيت ذهابنا إلى المدرسة في السابعة صباحا، تحمل حقيبة في يدك، مثل حقيبة مدرس اللغة العربية في مدرستنا، وتحدثنا أيضا باللغة العربية.

ضحكت وقلت له: لكني لست مدرس لغة عربية يا عبدالله، أنا أعمل في مجلة لها دوام حكومي، لذا تراني أنزل تقريبا في نفس موعد ذهابكم للمدرسة. الحقيبة التي أحملها في يدي هي حقيبة اللابتوب، وليست حقيبة المعلمين أو المدرسين. أحسست أنه خاب ظنه، وبدت علامات الندم ترتسم على وجهه الطفولي الأسمر ذي اللمحة الصعيدية، لكنه فرح عندما أخبرته أنني من الممكن أن أساعده في اللغة العربية، لأنها هي اللغة التي أكتب بها، وأعرف قواعدها ونحوها وصرفها.

وطلبت منه أن يأتيني بكتب اللغة العربية المقررة عليه في المدرسة اقرأها أولا ثم أشرح له ما غمض على فهمه.
ذهب عبدالله إلى شقته المجاورة وأتى بالكتب، فطلبت منه أن يتركها لي، وأن يعود في المساء.
. كم ستأخذ في الحصة يا أستاذ؟
أوجعني سؤاله، قلت له: عيب يا عبدالله، أنا لا أتقاضى أجرا عن هذه الخدمات؟
. أبي هو الذي طلب إليَّ أن أسألك؟
. قل له عيب يا أستاذ عبدالفتاح. نحن مصريين مثل بعض، حتى لو لم تكونوا مصريين، فيكفي أنكم جيران، والجار للجار.

أثناء ذهابي لصلاة الجمعة، وجدت جاري عبدالفتاح جالسا في صالون العمارة، ومعه عبدالله، صافحني بحرارة، وشكرني على تقديم خدمة التدريس لابنه، حيث إن اللغة العربية صعبة جدا عليه ولا يفهمها من شرح المدرس التونسي بالمدرسة. يقول إن مدرسهم يشرح اللغة العربية باللغة الفرنسية. ذهبنا معا لصلاة الجمعة في المسجد الذي

يقع خلف العمارة، وفي طريقنا أخبرني بدعوته على الغدا عندهم بعد الصلاة. رفضتُ الدعوة بشدة وقلت له: إنني مرتبط بدعوة أخرى اليوم مع بعض الأصدقاء على أكلة سمك زبيدي وربيان (جمبري). نظر لي في شك، وقال: يبقى الجمعة القادمة ان شاء الله.

. إن أحيانا الله.

obeikan.com

مؤتمر بغداد

وردت ثلاث دعوات إلى المجلة، واحدة للمشاركة ببحث في مؤتمر عن ثقافة الطفل في بغداد، والأخريان للتغطية الصحفية والإعلامية في مهرجان أبوظبي السينمائي، والتغطية الصحفية والإعلامية في ملتقى الحوار العربي الأوروبي بمقر الاتحاد الأوروبي بالعاصمة البلجيكية بروكسل.

حجز رئيس التحرير دعوة الحوار العربي الأوروبي لنفسه، وتركنا نختار ما بين مؤتمر بغداد ومهرجان أبوظبي.

أجمع الزملاء المحررون على اختيار مهرجان أبوظبي السينمائي، ومدته عشرة أيام على نفقة هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، كان لا بد من اختيار واحد فقط للسفر مندوبا عن المجلة. اقترح رئيس التحرير نظام القرعة، كل واحد

ونصيبه. طلبت منه إعفائي من هذه القرعة لرغبتي السفر إلى بغداد.

حملق كل الزملاء فيَّ، أكيد قالوا في سرهم: (مجنون ده ولا إيه)؟

طلب رئيس التحرير مني إعادة طلبي للتأكد، أو ربما لينبهني أن الوضع في بغداد غير آمن، والأجواء متوترة ويوميا هناك عشرات من القتلى والجرحى.

أعدتُ على مسامعه ومسامع الزملاء ما قلته، وافق على الفور. طلب مني كتابةَ طلبٍ برغبتي السفر إلى بغداد والمشاركة في المؤتمر على مسئوليتي الشخصية، مؤكدا أن وزراة الثقافة هناك سوف تتحمل تكاليف السفر والإقامة لمدة أربعة أيام. طلب مني إعداد البحث الذي سأشارك به.

بعد قليل وجدت الجوهرة تتصل بي: مجنون أنت يا يوسف، تسافر إلى بغداد في ظل هذه الأجواء؟

. كيف عرفت، الاجتماع انتهى حالا؟

ـ ليس مهما .. كيف عرفت، المهم ان تُلغي هذه السفرية فورا. وأنا أضمن لك السفر إلى مهرجان أبوظبي السينمائي.

. أريد أن أرى بغداد.

ـ ليس في مثل هذه الظروف، عندما تتحسن الأحوال يا يوسف.

. لا نعرف متى ستتحسن؟

. أرجوك من أجلي يا يوسف .. لا داع.

. يا ستي العمر واحد والرب واحد.

. ونعمة بالله، لكن لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة.

. لا تهلكة، رب هنا هو رب هناك.

ـ واضح أنك مصمم .. على راحتك، ولنكن على اتصال مستمر وأنت هناك، لأطمئن عليك.

. قدامنا وقت للسفر.

. والبحث؟

ـ شبه جاهز، أنا لي مؤلفات في أدب الطفل وثقافته كما تعلمين.

. وفقك الله.

سافرت إلى بغداد، لم تكن هي المرة الأولى التي أسافر إليها، شاركت من قبل في مهرجان المربد الشعري. لكن بغداد الآن غير بغداد زمان.

وجدت مندوبا من وزارة الثقافة ينتظرني في المطار، توجهت إليه، سلم معانقا ومرحبا وشاكرا أنني قبلت الدعوة، في حين أحجم عدد كبير من المهتمين بثقافة الطفل في الوطن العربي عن المشاركة، بينما كانوا يشاركون بقوة بل يلحون في المشاركة قبل عام ٢٠٠٣.

. إن شاء الله الأوضاع تتحسن ويعود كل العرب إلى بغداد.

ـ الأوضاع ليس سيئة كما يروج لها الإعلام العربي قبل الغربي، وإلا ما كنا أقدمنا على إقامة مؤتمر هكذا، بل أننا نقيم باستمرار مؤتمراتنا وندواتنا وفعالياتنا حتى مهرجان المربد الشعري المشهور منذ سنوات بعيدة، مازلنا متمسكين بتنظيمه وإقامته ويحضر فعالياته كثير من الشعراء في الداخل والخارج.

. سبق لي المشاركة في المربد مرتين من قبل.

. متى؟

. قبل غزو الكويت عام ١٩٩٠.

. كانت أياما.

ونحن في الطريق إلى الفندق، لمحت سيارة مصفحة تسير أمامنا للتأمين.

وصلنا الفندق الذي لم يبعد كثيرا عن المطار، أخبرني أن الفعاليات كلها ستقام به.

ـ متى سنرى بغداد، الشوارع، الناس، المحلات، نصب الحرية للفنان جواد سليم، المربعة، شارع المتنبي، شارع الرشيد، على وجه الخصوص، ونهر دجلة.

ـ سنرتب لكم تحركات جماعية. نصحني ألا أذهب إلى أي مكان في بغداد بمفردي، حفاظا على أمننا وسلامنا.

اتصلت بالجوهرة، أبلغتها بوصولي إلى الفندق، وأن كل شيء على ما يرام.

رغم أنها امرأة حديدية . كما أصفها دائما . فقد لاحظت وهَنًا وضعفا في صوتها.

. ما بك يا جوهرتي؟

. خائفة عليك.

. لا تخافي، عمر الشقي بقي.

ضحكت وقالت: آه منك أيها الشقي، طمني عليك في الصباح. متى جلستك؟

. لم أر البرنامج بعد.

رغم كل القلق والتوتر إلا أنني كنت أبدو متماسكا مبتسما في وجه الجميع، العدد كان محدودا بالفعل، لكن الجرائد والصحف والمجلات ومحطات التلفزيون العراقية كانت موجودة للتغطية والتصوير وإجراء الحوارات مع الضيوف والمشاركين. في حواراتي كنت أتحدث فقط عن موضوع المؤتمر، عن ثقافة الطفل، عن أهمية المؤتمر في العاصمة العراقية، دون التطرق إلى أي حديث سياسي.

ـ أريد أن أرى بغداد يا جماعة؟ كيف أكون في بغداد ولا أراها.

. سنرتب للوفد المشارك رحلة جماعية في الصباح.

تذكرت أبياتا للشاعر المصري علي الجارم يقول فيها ضمن قصيدته "منارة المجد":

بغداد يا بلد الرشيدِ ** ومنارة المجد التليدِ
يا بسمةً لمَّا تزل ** زهراء في ثغر الخلودِ

كما قفزت إلى ذهني أبيات الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي الذي توفي عام ١٩٣٦ والتي يقول فيها:

أتعودُ بعد تصرمٍ ونفادِ ** أيامُ بغدادٍ إلى بغدادِ
كانت محطًّا للعلومِ وأهلها ** وقرارة للمجدِ والأمجادِ
اليوم هاتيك العلوم جميعها ** مدفونةٌ بمقابرِ الأجدادِ
أيام مدَّ الأمنُ وارفَ ظله ** فيها فكانت جنةَ المرتادِ
أيام بغداد تضيء جميلةً ** فتلوح مثل الكوكبِ الوقَّادِ

لكن يرد عليَّ الشاعر جليل البيضاني بقوله:

بغداد..
سرقوا أقراطَ محبتها
وافتضَّ جنودُ المارنزِ بكارتَها
وبديلا عن أوراقِ التوت
اعتمرتْ قبعةً
لتغطي عورتَها

بعد إفطار الصباح أخطرنا مندوب وزارة الثقافة أننا سنقوم بجولة بالباص داخل المدينة لمدة ساعتين، سيحددون أماكن معينة للنزول والتجوال، قال من الأفضل أن تشاهدوا المدينة من داخل الباص.

obeikan.com

لم ينزل أحد من الباص، شاهدنا المدينة بعيون السائحين، كانت لدي رغبة قوية بالنزول في منطقة المربعة، الجلوس على المقاهي، السير في شارع المتنبي العامر بالكتب والمكتبات. كل هذا شاهدناه من على البعد. ثم عدنا إلى الفندق ومنه إلى المطار.

obeikan.com

علي بهادر

مات علي بهادر فجأة. كنت معه بالأمس اختار الصور التي ستنشر مع موضوعي عن مؤتمر بغداد بالعدد القادم. كان يدخن بشراهة وأمامه عدد من فنجانين القهوة التي انتهى من احتسائها طيلة اليوم.

على شاشة جهازه "الماكنتوش" كان يُخرج صفحات المجلة إخراجا فنيا رائعا، صوره المختارة تعطي معنى أعمق للدراسات والمقالات والقصائد والقصص المنشورة.

كان يبدو عليه الإرهاق والتعب، قلت له: إنت مرهق اليوم نكمل عملنا غدا.

. لا بد أن ننتهي اليوم من إخراج موضوعك على الأقل.

. إن غدا لناظره قريب.

. لا أحد يعلم ماذا سيخبئه الغد لنا.

لا يجلس مع بهادر أحد من المحررين لإخراج موضوعاتهم سواي. كان يأنس لي وآنس له، ونبحر في غابات الإنترنت لنختار صورا طبيعية تلائم الموضوع إذا لم تكن هناك صور مرفقة مع الأصل، أو صور شخصية. حتى الصور الشخصية كان يعالجها بفن وذكاء واقتدار ومقاسات تناسب الفراغات الموجودة بالصفحة، أو بين الفقرات، يكبّر ويصغّر منها، يضيف لمعانا وألوانا لها حتى يقتنع بجمالها وعمقها، ثم يطلب رأيي، فأقول: ولا أروع!

فنانا كان. على درجة عالية من الاحترافية والإتقان، تعلّم الإخراج الفني في مطابع بيروت، وفي دور النشر الكبيرة بها وفي جرائدها الشهيرة، ثم سافر إلى ألمانيا للتدريب والاستزادة في مطابعها ومعاهدها.

مأساته أنه شيعي من أصل إيراني، تزوج من سُنيّة أحبها وعاشا في الجنوب اللبناني، لم يهنأ بزواجه. عادت هي إلى بيروت، وجاء هو إلى الخليج، ولم يلتقيا وإن ظلت الاتصالات اليومية بينهما لا تنقطع تغذي الروح والوجدان عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

يراها كل مساء على "سكايب"، يتحدثان ويعشقان ويتعريان وهما على البعاد.

لم يتخل يوما عن أناقته وبذلته وربطة عنقه حتى في شهور الصيف ذات الحرارة المرتفعة جدا.

سألته: لماذا لا تأتي إليك هنا؟

. أهلها غير موافقين، إلى أن أدبر سكنا في بيروت أولا، بعد عذابات الجنوب. لذا تراني أعمل في أكثر من مكان، في المجلة صباحا، ثم أعمل مساء في إحدى الجرائد اليومية، وفي مجلة أخرى أسبوعية، حتى أستطيع شراء شقة في بيروت.

. لكنها زوجتك الآن.

. هناك حسابات أخرى معقدة.

لم أشأ أن أتدخل في تفاصيل حياته وحساباتها المعقدة، يبدو أن التركيبة السكانية والعقائد الدينية في لبنان أعقد مما أتصور.

لم يأت علي صباح اليوم إلى مكتبه في الدور الرابع، سألت عنه عددا من زملائنا اللبنانيين، قال أحدهم إنه يتصل به على المحمول لكنه لا يرد على غير عادته.

ذهب أحد زملائه المقربين إلى مسكنه الذي كان يعيش فيه بمفرده، أخذ يدق على الباب، لم يفتح أحد. شك في الأمر، ذهب إلى حارس العمارة، الذي أخبره أنه شاهده في ساعة متأخرة من الليل يدخل غرفته الاستوديو وهو في حالة إعياء، ولم يخرج صباح اليوم.

ـ إذًا هو بالداخل، ولا بد من الاطمئنان عليه، هل نكسر الباب؟

قال الحارس: لا بد من إبلاغ المخفر أولا ثم نتصل بالإسعاف.

وصلت دورية الشرطة في دقائق معدودة قبل وصول سيارة الإسعاف. تم إثبات الحالة ثم كُسر الباب، وجدوه ممددا على فراشه مبحلقا إلى جهاز اللابتوب المثبتة شاشتُه على صورة زوجته العارية.

الحزن عمَّ داخل أركان المجلة، وأدوارها السبعة، وتغيب بعض الزملاء عن الحضور، وخاصة اللبنانيين، فقد كانوا في مأتم حقيقي. الكل يحب علي بهادر الذي كان كنسمة لبنانية تهب علينا من جبال لبنان، في هذا الجو الخليجي اللافح.

اقترح الزملاء اللبنانيون أن يسافر أحدهم مع جثة علي لتسليمها إلى عائلته في الجنوب اللبناني، اكتشفت ساعتها أن كل الزملاء اللبنانيين بالمجلة من شيعة الجنوب، أعاملهم ويعاملونني . أنا المصري السني . بدون أي حساسية، لدرجة أنني لم أعرف أنهم شيعة إلا بعد وفاة علي، وأحسست أن هذه المعرفة لن تؤثر في شيء على زمالتنا وصداقتنا واحترامنا لبعضنا البعض. لا أدري من الذي زرع هذه الأفكار الهدامة، وفرقنا بين سنّة وشيعة.

زميلنا اللبناني جودت سعيد هو من وقع عليه السفر مع الجثة، وهو الذي كان سيسافر إلى أبوظبي لتغطية مهرجان أبوظبي السينمائي.

اعتذر عن أبوظبي، قال: حتى لو لم أكن سأسافر مع صندوق علي بهادر، ما كنت أستطيع السفر إلى مهرجان سينمائي، وأنا في تلك الحالة الحزينة. اقترح أن أسافر بدلا منه.

قلت له: أنا أيضا حزين، لنترك الأمر إلى رئيس التحرير كي يختار من سيحضر مهرجان السينما.

على غير التوقعات اختارني رئيس التحرير للسفر إلى مهرجان السينما.

. أنا عائد من بغداد منذ أيام؟

. ولهذا اخترتك للسفر إلى أبوظبي، تقديرا لموقفك وشجاعتك للسفر إلى بغداد في مثل هذه الأجواء، وكتابة تقرير ممتاز عن فعاليات المؤتمر هناك.

. هذا هو آخر ما أخرجه علي بهادر للمجلة يرحمه الله.

obeikan.com

في أبوظبي

غاب عن ذهني تماما أن تكون منى فارس مشاركة في مهرجان أبوظبي السينمائي، كانت صورة وفاة علي بهادر هي المسيطرة على ذهني في الأيام الأخيرة.

طالعت صورها في الجرائد الصباحية بالفندق، وأنها ستكون على السجادة الحمراء في حفل الافتتاح مساء اليوم.

تهيأت للحفل ببذلة سوداء جديدة، ربطة عنق حمراء على قميص أبيض، منديل أصفر بجيب الجاكيت العلوي، حذاء أسود لامع على شراب أسود حريري. أخيرا سأرى منى فارس نجمةً سينمائية.

بدأت طقوس الحفل، كان الزحام شديدا على غير توقعي، صحفيون ومصورون من جنسيات عربية وأجنبية، أعمدة إنارة شديدة الضوء، كاميرات فيديو تلفزيونية، كاميرات سينمائية مثبتة وأخرى متحركة على كتف المصورين يجوبون

بهـا أرجـاء البهـو الواسـع بالمنطقـة المخصصـة للمهرجـان بقصـر الإمـارات، يصـورون كـل شـاردة وواردة، وكـل وجـه سواء سينمائي أو غير سينمائي، المهم الخروج بأكبر مكسب من اللقطات والصور ثم يبدأ "المونتير" لعبة "المونتاج".

لم أستطع اقتحام هذا الازدحام.

بـدأ النجـوم فـي التوافـد علـى السـجادة الحمـراء التـي يفصـلها سياج أحمر مثبت بحلقات على حوامل معدنية براقة. نجوم السينما الأجنبية يتقاطرون مبتسمين وملوحين متوقفين أمام عدة أسئلة سريعة.

ثم بدأ النجوم العرب في التوافد، وعندما سطعت منى فارس لاحظت تصفيقا وهتافات مدوية: منى .. منى. كانت ترتدي فستانا أزرق لامعا يُظهر مفاتن جسدها المتوسطي، وخاصة عند منطقة النهد الذي لامسته في يوم ما، فضربتْ على ظهر يدي ضربةً خفيفةً حانية قائلة: عيب كده. ثم منحتني قبلة على خدي.

توقفت منى في منتصف السجادة الحمراء لتحيي جمهورها من الإعلاميين والمصورين الذين احتشدوا أمامها فحجبوها عني، وكانت تجيب بإجابات سريعة وخاطفة وماكرة على

أسئلة الصحفيين، وتنعكس على وجهها الأسمر الشفاف آلاف الإضاءات الملونة.

كانت نحيفة أكثر من أي مرة رأيتها فيها. يبدو أن النحافة من لوازم النجومية، مع أن ماري منيب لم تكن نحيفة على الإطلاق. هل هو التعب والإرهاق، أم الدور الجديد في فيلمها القادم؟

لم ترني منى فارس، ولم تشعر بوجودي، ومضت كشهاب سريع إلى القاعة الرئيسية الكبرى بقصر الإمارات.

كانت الأماكن المخصصة لجلوس النجوم والضيوف والشيوخ وكبار القوم، غير الأماكن المخصصة للإعلاميين والصحفيين، فلم أستطع أن أراها داخل القاعة، وبعد طقوس وعروض الافتتاح لم أرها في حفل العشاء في الهواء الطلق على ضفاف شاطئ أبوظبي، يبدو أنها تناولت عشاءها في جناحها بالقصر، بعيدا عن الازدحام.

على مائدة الأفطار جاء مندوب المهرجان يوزع علينا نموذج رغبات بأسماء الفنانين والفنانات والمخرجين والمخرجات، الذين نود إجراء حوارات ثنائية معهم لصالح الوسيلة الإعلامية التي نعمل بها. وجدت في النموذج المقدم لي

أسماء أربعة نجوم عليَّ أن أختار واحدا منهم لإجراء حوار معه إذا رغبت في ذلك.

تأملت الأسماء: درّة، جمال سليمان، المخرج خالد يوسف، منى فارس.

كنت أود اختيار اسم خالد يوسف، لكن بدون أن أشعر ذهبت يدي إلى وضع علامة صح على اسم منى فارس.

كان الميعاد هو الخامسة مساء، قبل موعد عرض فيلم السابعة المخصص لمشاهدة الفنانة كي تشترك في مناقشته وتبدي رأيها فيه كمشاهدة وليس كممثلة.

ذهبت إلى المكان المخصص باللقاءات الصحفية في أحد صالونات قصر الإمارات، يسبقني قلبي وذكرياتي قبل قلمي وأسئلتي وتعليقاتي. كيف ستقابلني منى فارس بعد فترة البعاد، وبعد تألقها ونجوميتها، هل ستتعالى عليّ، هل ستعاملني كأي صحفي أو محرر يريد أن يجري حوارا معها لمجلته وجريدته، هل .. وهل .. وهل؟

وجدتها هناك قبل الميعاد، احتضنتني وقبلتني مثل زمان، بل أشد شوقا وحرارة، قالت: فرحت جدا بوجودك هنا. عندما

أخبرني مندوب المهرجان بأنك تطلب إجراء حوار معي لم أصدق.

. يااااه يا منى، أخيرا أراكِ، وأين؟ في أبوظبي، يا للروعة.

دخل بعض منظمي المهرجان من الشباب الإماراتي، بدأت أستعيد توازني وهي كذلك، شرعتُ في توجيه الأسئلة وتلقي الإجابات:

سألتها عن اشتراكها في عمل مسرحي قريبا. قالت إن التوقيت هو الذي يتحكم بالموسم المسرحي خاصة في شهور الصيف خلال هذا العام والأعوام القليلة القادمة لأن شهر رمضان المبارك سيتخلل شهور الصيف. وأضافت أنها تحب المسرح وتعشقه.

أوضحت أنها قدمت الكثير من الأعمال الدرامية في السينما والتلفزيون، "وإذا أردتُ أن أقدم شيئا على المسرح فسيكون عملا مختلفا، أو عملا كوميديا".

عن تجربة الإنتاج السينمائي قالت إنها لا تصلح للإنتاج، "لست بتاعة إنتاج وحسابات ولا أعرف في ذلك فلا أستطيع أن أقول لفنان مثلا خفِّض أجرك عن هذا الرقم".

عن تجربة الفنانة إلهام شاهين في إنتاج فيلمها "خلطة فوزية" قالت منى فارس إن إلهام كانت جريئة جدا في وقت صعب، وقد تكلف الفيلم حوالي ٧ أو ٨ ملايين جنيه.

وعن مسلسلها الأخير قالت إننا دائما نرفض مناقشة قضايا مثل التحرش الجنسي، وأنا أرى أنه لا بد أن نتحدث عن مشاكلنا الاجتماعية والأخلاقية في أعمالنا الفنية. واكتشفت أننا عندما نتحدث عن هذه المشاكل فسوف يبدأ المجتمع في التفكير فيها ومعالجتها بعد ١٥ أو ٢٠ سنة، وهو ما يحدث الآن بشأن ختان الإناث على سبيل المثال.

وأضافت أنه لا بد من أن نتحدث بجرأة عن مشاكلنا مثل الاغتصاب، خاصة بعد أن نكتشف أن ٦٥ ألف حالة سجلت في مراكز الشرطة في العالم العربي خلال العام الفائت فقط، ولم يقم الناس بالإبلاغ عن ثلاثة أضعاف هذا الرقم على الأقل خوفا من الفضائح، كما اكتشفنا أن ٣٠ % من النساء ينتمين إلى المرأة المُعيلة أي المرأة التي تعيل أسرتها، كان لا بد من وقفة، هذا ما شجعني على عمل هذا المسلسل.

وعن القضية الاجتماعية الجديدة التي ستعالجها أو تركز عليها في مسلسل قادم قالت أنا فنانة في المقام الأول، ولا أعالج قضية، ما يهمني بالدرجة الأولى أن أقدم فنا يقنع الناس ويمتعهم، ومن خلاله تصل القضية، أكيد لو وجدت قصة أضيف من خلالها شيئا جديدا فسأقدمها، فإذا لم أجد ما أضيفه فلن أقدم شيئا.

تضيف منى فارس أنه على الرغم من كل ما قدمته من أعمال سينمائية وتلفزيونية ومسرحية فهي تحس بأنها لم تقدم شيئا حتى الآن.

وتنبه على أن الممثل يجب أن يكون متواضعا، لو تعالى على التمثيل أو على الجمهور فسوف تكون بداية النهاية.

وعن رأي يقول إن الدراما المصرية تعتمد على النجم الأوحد، عارضت منى فارس هذا الرأي، ولكنها أضافت أنه من حق النجم الكبير أن يختار العمل الذي سيعمل فيه، ويختار الذين يعملون معه، وفي النهاية لا يوجد عمل بشخص واحد مهما كان عظيما.

قالت بصراحتها المعهودة إنه إذا لم يكن هناك دراما مصرية فلن تكون هناك دراما عربية بأي شكل من الأشكال،

وضربت مثلا بالفنان السوري جمال سليمان الذي كان يمثل في سوريا منذ سنوات، ولم يكن معروفا على نطاق واسع، لكنه لم يُعرف في مصر وفي الوطن العربي إلا بسبب مسلسله الرائع "حدائق الشيطان"، وأنا شخصيا عرفته قبل هذا العمل.

وعن الدراما الخليجية أوضحت أنها في بداية حياتها، وتحاول أن تكون موجودة في ظل هذا التنافس والصراع الفني.

أما عن الدراما التركية فترى أنها انتشرت في العالم العربي بسبب قصص الحب الرومانسية التي تقدمها، والتي تراجعت الآن في المسلسلات العربية، فضلا عن الدبلجة السورية الجيدة لها، وليس صحيحا أن وراء انتشارها وسامة الوجوه الشابة، أو جمال البطلات والممثلات.

عن الأفلام التي تتحدث عن الإرهاب، قالت منى فارس إن الإرهاب هو فكر يرهبك فلا تستطيع أن تتقدم إلى الأمام، وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يحاسبنا وليس نوع معين من البشر، وكل نعمة سنحاسب عليها صغيرة أو كبيرة.

حكت عن أنها كانت تشاهد إحدى القنوات الفضائية مصادفة أثناء وجودها ذات مرة خارج مصر، فسمعت شيخا يسبها ويشتمها بالاسم، مضيفة أنه ليس من حقه أن يفعل ذلك.

وعودة إلى الفن أشارت منى فارس إلى أن إحساس الفنان يتغير بتغير الزمن، وليس من المعقول أن أقدم الآن عملا أقوم فيه بدور البنت التي تحمّر وجنتاها من الكسوف إذا قال لها حبيبها إنه يحبها، على سبيل المثال. الوقت تغير وطريقة التعبير عن الحب تغيرت، طريقة التعبير عن السعادة أيضا تغيرت، كل شيء أصبح مختلفا، ما كان يصلح لكي أقوم به في بداية تمثيلي قد لا يصلح الآن.

وعودة إلى الدراما العربية أوضحت منى أن الدراما العربية جزء من الثقافة العربية السائدة، فهي تعكس وضعية المجتمع العربي الآن.

وشرحت أن تمثيل مسلسل واحد (٣٠ حلقة) يأخذ جهد ١٣ فيلما، ومع ذلك فالفنانون الذين يشاركون في المسلسلات لا يتقاضون أجر ١٣ فيلما بطبيعة الحال.

وأوضحت أنها لا تجد نفسها في المسلسلات التاريخية الناطقة باللغة العربية الفصحى.

وتؤكد منى فارس أنها تحاول أن تؤدي رسالتها وأن تكون قدوة جيدة من خلال أفلامها وفنها، وأنها تحاول الحفاظ على بعض الخير الموجود فينا.

نبهنا الشاب الإماراتي المشارك في تنظيم المهرجان إلى اقتراب موعد عرض الفيلم الذي ستشارك الفنانة في مناقشته، اضطررت إلى إنهاء الحوار بعد التقاط عدة صور صحفية معها لنشرها بالمجلة.

أخبرتني أنها ستغادر أبوظبي في مساء الغد لارتباطها بموعد تصوير فيلم جديد، وتمنت أن تراني في مصر. وسألتني عن رقم الغرفة التي أقيم فيها بالفندق.

في اليوم التالي وجدت في غرفتي علبة مغلقة بها أحدث جهاز تليفون محمول، وكارت من منى فارس تعرب عن سعادتها الغامرة بلقائي.

ثورات قادمة

ظل موقف رئيس التحرير من ملف ثورة ٢٣ يوليو يحيرني كثيرا، لماذا كان متحمسا، ثم انطفأ حماسه فجأة على النحو الذي أمرنا بطريقة غير مباشرة أن لا نتحدث في هذا الموضوع حينما صاح: انتهى الاجتماع!

هل أفاتحه في هذا الأمر، أم سيغضب مني. هو لا يحب النقاش مثل كل أصحاب السلطة، يتحدثون عن الديمقراطية وأهمية الاستماع إلى الآخر وضرورة الحوار معه، قبل أن يتقلدوا منصبا رئاسيا، فور اعتلاء أي منصب رئاسي يمارسون القمع وإغلاق أبواب الحوار، يدعون أنهم يرون أفضل بحكم منصبهم، وأنهم يتحلون بالحكمة في اتخاذ القرارات التي يعود نفعها على الجميع .. وما إلى ذلك.

هل جاءته أوامر من قيادات بالوزارة بعدم نشر هذا الملف، ولا داعي لفتح ملفات ثورة عفى عليها الزمن ومضت عليها

عقود دون أن تحقق الهدف الأسمى من اندلاعها، بل عادت الأمور إلى الأسوأ في ظل وصول تعداد الشعب المصري إلى أكثر من ٨٥ مليون نسمة، وضعف وتهالك الخدمات، تراجع مستوى التعليم والخدمات الصحية، تدني أحوال الموظفين الذين ناصروا الثورة وقت اندلاعها مع طوائف الشعب المختلفة. هبوط مستوى الاقتصاد والأدب والفن والثقافة والكرة في "أم الدنيا".

ربما تحدثوا بهذا في اجتماع لهم عندما أخبرهم رئيس التحرير أنه ينوي تقديم ملف عن ثورة ٢٣ يوليو.

لم أنس هذا الموضوع الذي جعلني غير متحمس للمشاركة في ملفات أخرى اقترحها علينا رئيس التحرير، أو شاركتُ فيها بدون حماس أو رغبة حقيقية.

في اجتماع السنة الجديدة وتبادل التهاني بحلول العام الجديد، سألني رئيس التحرير عن سر تراجع مستواي الكتابي عن المستوى المعهود، وعدم رغبتي في المشاركة بالكتابة في كثير من الأحيان، على عكس ما كنت عليه في بداية عملي بالمجلة.

طلبت منه أن أتحدث إليه في هذا الأمر في مكتبه بعد انتهاء الاجتماع. أدرك أن هناك كلاما أريد ذكره في غير وجود الزملاء المحررين. وافق على ذلك.

دخلت مكتبه الكبير، قال لي: تفضل بالجلوس. جلست فقال: ما هي الحكاية، ألاحظ أنك تريد أن تحدثني في أمر سري؟

. ليس سريا ولا شيء.

. ما الحكاية إذًا؟

ـ أريد أن أسألك عن موضوع ملف الثورة المصرية لماذا كلفتنا بإعداده، ولماذا أهملته، أو تراجعت عنه؟

. يا أخ يوسف جاءتني تعليمات بعدم ضرورة ذلك، فقد كتبنا الكثير في سنوات سابقة، لا يوجد جديد.

. تعليمات من قيادات الوزارة؟

ـ نعم .. وبعد تردد: وجهات أخرى. نحن مجلة حكومية يا يوسف نخضع لتعليمات القيادات في البلاد.

. لكنك – كما عرفت – ناصري أو تحب جمال عبدالناصر الذي ارتبط اسمه بالثورة.

obeikan.com

ـ نعم. تعلمت في مصر وتخرجت في كلية الآداب جامعة القاهرة، شيوخك في الأدب هم أساتذتي.

. جميل.

. أقول لك شيئا، ربما كنت أكتمه أمامكم في الاجتماع.

. تفضل ..

ـ سمعت أن المنطقة ستتعرض خلال الأسابيع أو الأيام القادمة لمخاطر وثورات في عدة بلاد عربية. الله يستر عليكم وعلينا.

. سمعت مِن مَن؟

ـ الأمور كلها تتجه إلى ذلك يا أخ يوسف، لا تسلني: مِن مَن؟ الغرب قال "خريطة الشرق الأوسط الجديد"، تحدثت كوندليزا رايس عن الفوضى الخلاقة. أرى أن هناك تسارعا في هذا الاتجاه. لا تحدثني الآن عن ثورة يوليو وقائدها الخالد، وننتظر ما سيأتي به المستقبل.

هل هو على صلة بالمخابرات العسكرية في بلاده، أم بالمخابرات الأميركية؟

يبدو أن هذا الرجل أخطر مما أتصور، وكل من يتصور بالمجلة، خاصة الجوهرة إبراهيم!

حدث ما توقعه رئيس التحرير، اندلعت الثورة التونسية في ١٧ ديسمبر ٢٠١٠، تابع العالم كله، كيف تعقدت الأحداث منذ إشعال الشاب محمد البوعزيزي النار في نفسه، وحتى هروب الرئيس زين العابدين بن علي وزوجته ليلى الطرابلسي إلى السعودية.

بدأت همهمات في مصر منذ مقتل الشاب خالد سعيد في الإسكندرية على يد أفراد من الشرطة، ثم بدأت تتعالى الصيحات وخرجت المظاهرات يوم ٢٥ يناير ٢٠١١ احتجاجا على الرئيس محمد حسني مبارك، انضمت طوائف كثيرة من الشعب إلى تلك المظاهرات التي باتت تسرع وتيرتها يوما بعد يوم، وساعة بعد ساعة، إلى أن تنحى الرئيس مبارك عن الحكم في مشهد مؤثر كان بطله اللواء عمر سليمان، والضابط الشاب الواقف وراءه الذي حظي على أكبر كم من التعليقات بعد التنحي.

كنت أتابع اندلاع الثورتين في تونس ومصر، وأنا بالخليج، أجد فرقا كبيرا في التعامل مع الأحداث من خلال التلفزيون الرسمي في ماسبيرو في مصر، وبقية محطات التلفزيون في العالم، كان تلفزيون ماسبيرو يثبت كاميراته على مشهد

قريب من مبناه على النيل، وكأن لا شيء يحدث في ميدان التحرير وميدان عبدالمنعم رياض الذي لا يبعد سوى عشرات الأمتار عن ماسبيرو.

كنت ألهث وراء فضائيات أخرى غير مصرية مثل الجزيرة والعربية وسكاي نيوز وبي بي سي، وغيرها، في محاولة لاستطلاع واستيضاح الموقف، كنت على اتصال فوري بوالدتي وأشقائي في الإسكندرية للاطمئنان عليهم وعلى مصر.

فجأة وعلى غير العادة اتصلت بي علياء الزغبي تخبرني باجتماع فوري لكل العاملين بالمجلة. صعدنا جميعا إلى الدور السابع حيث مقر الاجتماعات. دخل رئيس التحرير متجهم الوجه، كان معظمنا كذلك، حتى الزملاء اللبنانيين . بما فيهم علياء . على الفور قال الرجل: حدث ما كنا نتوقعه من شهور. ونظر لي نظرة ذات معنى، فهززت رأسي بالموافقة.

أخذ يتحدث إننا كمجلة شهرية لا نستطيع مواكبة الأحداث السريعة والمتلاحقة. قال مستبقا لأي اقتراحات قد يقولها شخص مثلي: لا أحد يقترح علينا عمل ملف للأحداث، لأننا

لن نستطيع مجاراة ما يحدث، ثم أن مجلتنا ثقافية وليست سياسية، لا أحد يستطيع أن يتوقع ما سيفسر عنه الغد، خاصة بعد ما حدث في الشقيقة الكبرى مصر، يبدو أن ما حدث في تونس كان مجرد بروفة أو مقدمة لما سيحدث في مصر ودول أخرى في الطريق، هم يريدون رسم خريطة جديدة للشرق الأوسط، وها هم يفعلون.

اجتمعت بكم اليوم، لأنني أعرف أن لكل منكم اتجاها وتفكيرا ورؤية للأحداث ربما تختلف عن اتجاه وتفكير ورؤية زميله وصديقه، لا أريد صراعا سياسيا بالمجلة، نحن مجلة حكومية لا تخضع لأهواء أحد، خاصة أن من بينكم المصري واللبناني والأردني والسوري والسوداني، إلى جانب أشقائكم الخليجيين. التعليمات صريحة ومحددة لا حديث في السياسة داخل مبنى المجلة، أعلم أنكم تتابعون الأحداث لحظة بلحظة باعتباركم إعلاميين، لكن أرجو ألا تشغلكم هذه المتابعة عن عملكم الأصلي بالمجلة، كل في مجال تخصصه، هل لدى أحد منكم أي سؤال؟

قلت: باعتبارنا إعلاميين، نريد متابعة الأحداث أولا بأول، لن نكتب عنها، لكن يكفينا المتابعة ومعرفة ما يدور، ربما يُطلب منا مستقبلا أن نكتب عنها لغرض ما.

. والمطلوب؟

. المطلوب جهاز تلفزيون في مكتبي بغرض المتابعة.

أخذ يعد الموجودين بالاجتماع، قال: إذًا علي أن أوفر أجهزة تلفزيون بعدد الموجودين الآن. طلبك مرفوض يا يوسف.

لم تحضر الجوهرة هذا الاجتماع فلم تكن في المجلة وقتها، ولا يوجد دوام محدد لها مثلنا. لكنها اتصلت بي فور الانتهاء من الاجتماع طالبة أن ألخص ما حدث وقيل في هذا الاجتماع العاجل.

أخبرتها أن الاجتماع كان بخصوص ما يجري من أحداث في مصر وتونس.

ـ أدري يا يوسف أسباب الاجتماع، ولكن ماذا قال رئيس التحرير؟

ذكرت لها كل ما قاله، كما أخبرتها برفضه لطلبي بأن يكون هناك جهاز تلفزيون في مكتبي للمتابعة الإعلامية. فقالت: هذا أمر ميسور ومقدور عليه، وبطبيعة الحال ليس كل

شخص في المجلة سيكون لديه جهاز تلفزيون، كما يتصور رئيس التحرير، هناك أشخاص بحكم مهام عملهم ووظيفتهم يجب أن يكون لديهم جهاز تلفزيون، أنا في مكتبي جهاز وكما تعلم لا أحضر كثيرا إلى المجلة، إذا رفض رئيس التحرير الموافقة على توفير جهاز تلفزيون في مكتبك، سأعطيك الجهاز الذي في مكتبي.

أضافت: من المهم أن يكون لديك تلفزيون لمتابعة الأحداث والوقوف على التفاصيل، خاصة أن مصر تمر بأحداث جسام هذه الأيام.

ثم طلبت مني كتابة انطباعاتي ورأيي فيما يحدث في مصر لنشره في جريدة يومية خليجية تواكب الحدث وتفرد له صفحات واسعة، باعتباره الحدث الأبرز في المنطقة، إن لم يكن في العالم كله.

مساء اليوم سأعكف على كتابة رؤيتي، وأرسله لك بالإيميل.

"لا أبالغ إذا قلت إنني كنت أتوقع أن تثور مصر على كل الأوضاع المزرية التي كانت تعيشها طوال العقود السابقة، وكان السؤال الذي يتردد دائما بداخلي: مَنْ يثور ومتى وأين وكيف .. وأجهزة القمع موجودة في كل مكان؟

هل الثورة تأتي من الجيش، كما حدث في عام ١٩٥٢، هل تأتي من الشعب وكيف وهو المكبل بقيود كثيرة ليس أولها قانون الطوارئ، وزبانية الحاكم المنتشرين في كل مكان، هل من الشرطة في لحظة تمرد ورفض للأوامر العليا، هل وهل وهل .. أسئلة كثيرة كانت تطرح نفسها. إلى أن فعلها الشباب، وكان الجميع لا يتوقع ذلك، لأننا كنا نصفه بالاسترخاء واللامبالاة وعدم الانتماء والولاء للبلاد، وإنفاق معظم وقته ما بين المقاهي وشاشات الإنترنت بلا جدوى.

لكنه فعلها بكل الجدية والإخلاص والولاء، كانت المفاجأة مذهلة للجميع، مفاجأة لنا، وللكتاب والمثقفين والإعلاميين، ولأجهزة الشرطة القمعية نفسها، بل للنظام نفسه ورئيسه الذي قال لوزير إعلامه في آخر لقاء قبل التنحي وكان يجمِّل له الصورة كعادته: "بطَّلوا كذب بقه."

المفاجأة التي أربكت الجميع، أن ثورة الشباب جاءت متسقة مع مفردات عصره، عصر المعلومات والاتصالات والإنترنت والأجهزة المحمولة، التي لم يُجِدْ استعمالها الأجيال السابقة، سرعان ما فهمت الأجهزة القمعية ذلك فأوقفت العمل بشبكة الإنترنت وشبكات الموبايل، لكن الشباب كان

أكثر ذكاء وسرعة تصرف، وعرفوا كيف يتواصلون دون هذه الأجهزة.

كان هذا الشباب من الذكاء والوعي أيضا بأن رفض كل المسكنات ورفض تحقيق المكتسبات على مراحل قد لا تكون بعد ذلك آمنة. عرف كيف يجمِّع الشعب حوله، فخرجت المظاهرات المؤيدة له في كل أنحاء مصر، فالهمُّ لم يكن همًّا شبابيا فقط، واكتوى الجميع من المعاناة والقهر والظلم.

لقد أسقط شباب مصر كل نظريات الثقافة وتنظير المثقفين والمفاوضين، وتعامل بمنطقه هو وثقافته هو. ومن هنا رأينا أن المثقفين كانوا تابعين ولم يتقدموا المشهد، بل كانوا خلفه، ومن بعيد.

لم يستشهد مثقف مصري واحد أو كاتب واحد، لأن المثقفين كانوا ـ كما رأيناهم ـ في الخلف، وعندما اطمأنوا لنجاح الثورة بعد أيام من اندلاعها، خرج بعضهم إلى ميدان التحرير، وأصدروا البيانات والتصريحات، وتفاعلوا مع الشباب، ولكن للحق أقول إن اتحاد كتاب مصر كان أول نقابة مصرية تصدر بيانا مؤيدا لثورة الشباب في أول يوم. لكنه لم يكن وسط الميدان معهم، لم يتعرض مثقف أو كاتب أو أديب

لحملة الجِمال والحمير (أو التي سميت إعلاميا "موقعة الجمل") التي تعرض لها شبابنا في تلك الليلة السوداء الحزينة بعد أن خطب رئيس النظام خطابه العاطفي الأول، فظن الجميع أن جذوة الثورة قد خمدت، فإذا بالبلطجية وعناصر أمنية تزرع البلاد إرهابا ورعبا وخوفا وترويعا، فلم يتراجع الشباب ولم يتراجع الشعب، بل زادهم ذلك إصرارا وتمسكا بشرعية ثورتهم.

لذا أستطيع أن أقول إن تلك الثورة لم تكن ثورة مثقفين، وإن دور المثقف كان تاليا في المواجهة، بل إن عددا آخر من المثقفين والإعلاميين والفنانين أراد أن ينفي الثورة وهي في أوج اشتعالها.

لكن من ناحية أخرى أستطيع أيضا أن أقول إن هناك بعض الكتابات والأعمال الأدبية والفنية والدرامية أسهمت على مدى طويل في صناعة الثورة، والدليل على ذلك أن شبابنا في ميدان التحرير كانوا يتغنون بأغاني ثورة يوليو وأغاني الشيخ إمام وعبدالحليم وأم كلثوم، وغيرهم، بل كانوا ينشدون بلادي بلادي. وأنا الشعب لا أعرف المستحيلا، كانوا يردون أشعار الشابي وأمل دنقل، ولا أستطيع أن أنكر تأثير أفلام

خالد يوسف على سبيل المثال الذي يفضح فيها المجتمع ويغوص فيها إلى الأعماق التي أراد النظام تجميلها وأنه "كل تمام يا ريس."

ليس هناك شك أن رهانات المستقبل كثيرة ومتعددة. إننا نراهن على هؤلاء الشباب في نهضة المجتمع المصري وإعادته إلى موقعه الحقيقي، لقد أثبت الشباب ولاءهم وحبهم الكبير لمصر، أنا على ثقة أنهم سيقودون البلاد إلى آفاق عصرية جديدة لا زلنا نحلم بها.

غير أن أشد ما أخشاه أن يأخذهم العَجَبْ بما فعلوه، فينسوا الأهداف التي ثاروا من أجلها، ومنها إقامة العدالة الاجتماعية، كما نساها شباب ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، بل نسي المبادئ الستة التي قامت من أجلها الثورة، فإذا بنا بعد سنوات من قيام تلك الثورة نعود إلى نقطة الصفر، ونحلم بثورة أخرى تحققت أخيرا بعد طول معاناة ومخاض طويل على يد شباب ٢٥ يناير ٢٠١١.

وإذا كانت ثورة يوليو قد قام بها الجيش وباركها الشعب، فأنا أرى أن ثورة يناير قام بها الشعب وباركها الجيش بعد أيام من قيامها.

إن ثورة يناير بداية مرحلة جديدة في عمر مصر، تتطلب منا كل الجد والاجتهاد واليقظة للحفاظ على مكتسباتها، وأعتقد أنه لا وقت للبكاء، ولا وقت لتصفية الحسابات، ولنمض إلى الأمام، فالمستقبل في انتظارنا.

تحية لكل شهداء الثورة من الشباب الذين وقفوا أمام الظلم والاستبداد والطغيان، بدون أي سلاح، سوى سلاح الإيمان بالتغيير وإسقاط رموز الفساد."

***

نشر المقال، كما وعدتني الجوهرة، في أكبر جريدة يومية بالخليج، تلقيت عدة مكالمات تليفونية من عدد من المصريين الذين يعملون هنا، متفقين تماما مع رؤيتي وتحليلي للأحداث في مصر، مطالبين بالمزيد من المقالات.

على الساعة الحادية عشرة اتصلت بي علياء، طلبت مني الصعود لمكتب رئيس التحرير. لم يكن مزاجها رائقا لتقول لي: "جانا الهوا"، لم يكن مزاجي أنا أيضا رائقا لأقول لها: "الهوا هوايا."

دخلت مكتبه فقال في غضب: قرأت مقالك بالجريدة. لم يعجبني!

. هذه وجهة نظري.

ـ كان من المفترض أن تبلغني كي أسمح لك بالكتابة في الجريدة، فأنت هنا موظف بالمجلة، وتكتب بها، غير مسموح لك أن تكتب أو تعمل في مكان آخر إلا بعد أخذ موافقة مني على ذلك! أنت بهذا تحرجني مع المسئولين في الوزارة.

ـ هذه أحداث بلدي، أنا أعبر عنها بحرية تامة، وكان من الممكن أن أنشر المقال في مكان آخر دون أن تراه، أو حتى أرسله بالإيميل لأي جريدة مصرية تنشره هناك.

. لو نشرته في أي جريدة مصرية ما كنت اعترضت، ولكنك هنا في الخليج، وتعمل تحت رئاستي، الأمر مختلف. الأمر له حسابات أخرى عندنا، يوجد لدينا من يحب رئيسكم مبارك الذي تنحى عن الحكم حقنا لدماء كثيرة كانت من الممكن أن تسيل بينكم، بمساعدة أياد داخلية وخارجية.

ـ سالت الدماء .. وقتل الكثيرون في الميادين المختلفة، وليس ميدان التحرير فحسب.

ـ لو لم يتنح مبارك بهذه الطريقة، لسالت أنهار من الدماء في كل مكان في مصر، وليس في ميادين التحرير فقط،

ولصارت فتنة حقيقية، ليس بين المسلمين والمسيحيين فقط، ولكن بين المسلمين والمسلمين أيضا.

. وماذا عن الفساد الذي وصل إلى الرُّكَب كما قال واحد من هـؤلاء الفسـدة. مـاذا عـن الظلـم، تفشـي الجهـل والرشـوة والمحسـوبية، تـدني الخـدمات التعليميـة والعلاجيـة، انتشـار البطالة بين أوساط الشباب، ارتفاع نسبة الفقر، وفي الوقت نفسه ارتفاع نسبة اللصوص والحرامية والأثرياء ثراء مفاجئا وفاحشا. ثم جاءت محاولة التوريث لابنه لتكون القشة التي تقصم ظهر البعير.

ـ هذه تراكمات، بالفعل لم يستطع مبارك علاجها العلاج اللازم، وظلت هذه الظواهر تكبر وتتفشى وتتضح للجميع. واستغلها الإعلام المضاد ليكبرها ويلقي "زووم" عليها، لإثارة الجماهير التي خرجت مع الخارجين في ٢٥ يناير.

. إذًا ما الحل؟ أليس بحتمية الثورة على هذه الأوضاع؟ هل لو استمر مبارك في الحكم بعد هذه الثورة، لكانت الأحوال تحسنت أم كان هناك مزيد من الاعتقالات والمحاكمات والتعذيب على الأقل للذين ذهبوا إلى الميادين ولم يقتلوا

بالرصاص، فكانوا سيقتلون بطرق أخرى بعد محاكمات فورية.

ـ الوضع صعب ليس في مصر وحدها، ولكن في المنطقة بأسرها.

. إذًا نكتب ونعبر عن رأينا أم لا نكتب ونكمم أفواهنا؟

نظر لي نظرة ذات مغزى، قال: ما دمت تعمل هنا، لا تنشر أي كلمة إلا بموافقتي، سواء في المجلة أو في خارجها.

أنا في موقف لا أحسد عليه، هل أرفض كلامه وأتقدم باستقالة فورية، أم أطيعه لحين أن تضح الأمور، هل الاستقالة هي الحل الصحيح في هذا التوقيت؟

عرف كيف يلعبها صح، لأكون تحت رحمته.

لم أعلق على كلامه، استإذًات في الانصراف من مكتبه، وفي قرارة نفسي أن اطلع الجوهرة على كل ما جرى، هي التي طلبت مني كتابة المقال المنشور صباح اليوم، بل طلبت المزيد من المقالات عن الثورة المصرية.

جاءني صوتها عبر الهاتف، مؤكدة أنها كانت تتوقع كل ما جرى، لأنه شخص يريد فقط الحفاظ على منصبه، وترضية

رؤسائه في الوزارة. ثم سألتني سؤالا مفاجئا: أنت لم تذهب إلى مصر، أو تأخذ إجازة منذ متى؟

. منذ أن جئت إلى هنا.

. إذًا عليك أن تتقدم بطلب إجازة، فرصة كي تريح أعصابك من التعامل مع هذا الرجل، وترى الأحوال على طبيعتها في مصر، تكتب لنا من الميدان، وتطمئن على أسرتك في الإسكندرية.

. اقتراح وجيه. لكنها لن تكون إجازة. سيكون عملا شاقا في ظل الانفلات الأمني الموجود في مصر حاليا.

. فلتكن على اتصال بي، ربما أستطيع المجيء إليك هناك.

. تتحدثين كأنني وافقتك على الإجازة والسفر!

. هل أمامك حل آخر؟

العودة إلى الإسكندرية

كأن الإجازة كانت حلا أيضا لرئيس التحرير، حيث سرعان ما وقَّع عليها، وذهبت إلى قسم الإجازات بالوزارة، كان المعروف عنه أنه دائما ما يماطل في التوقيع على الإجازات، يؤخر الطلب لديه أسابيع، أو يعدل من مواعيد الإجازة التي يطلبها الزملاء، تعللا بأن زميلا آخر في إجازة، ولا يجوز أن نترك العمل كلنا في وقت واحد.

اتصلت بقريب لي يعمل بمطار برج العرب، أبلغته عن ميعاد وصولي ليلا، وضرورة أن يوفر سيارة خاصة بسائق أمين يثق به خاصة بعد أن تناهى إلى سمعي مدى الانفلات والبلطجة المنتشرة في البلد، وخاصة على الطرق السريعة.

هالني ما رأيته على الطريق من برج العرب إلى الإسكندرية، كانت الطرق مظلمة، أعمدة الإنارة مسروقة، الأسوار

الحديدية على جانبي الطريق وخاصة فوق الكباري، غير موجودة، عرفت من سائق السيارة أنها سُرقت لعمل أبواب حديدية للعمارات الكبيرة بالمدينة، بدلا من الأبواب الخشبية أو العمارات التي كانت بلا أبواب أصلا، لتأمينها ضد اللصوص والبلطجية.

الكل يعيش حالة هلع ورعب، فضلا عن سرقة السيارات الملاكي واختطاف الأطفال وطلب الفدية الكبيرة من أهلهم.

وحوش وبلطجية ومصاصو دماء وأموال يرتعون في المدينة، ولا رادع لهم، أخبرني السائق أن الشرطة لا تملك أن تفعل شيئا، فقد أصبح ضباط الشرطة منكسرين لدرجة أنهم لا يرتدون الزي الشرطي في الشوارع خوفا من الانتقام منهم، بعد أن نُسب إليهم قتل الثوار في ميدان التحرير والميادين الأخرى. كانت الأقسام تُهاجم بضراوة أو تُشعل فيها النيران دون التوصل إلى الفاعل الحقيقي، وانتشرت عبارة "الطرف الثالث" أي الفاعل المجهول المتسبب في كل هذا، دون الوصول إليه.

بين خوف وترقب وتوجس ويقظة تامة لأي حركة غير متوقعة ممكن أن تحدث غدرا، ظللت في السيارة التي نقلتني

من مطار برج العرب إلى فندق سيسل بمحطة الرمل، حيث سأقيم يومين هناك لحين تجهيز وتنظيف الشقة الجديدة التي اشتريتها في ميامي.

ذهبت إلى محرم بك، استقبلتني والدتي بالأحضان والدموع، لم أخبرها أنني قادم، فوجئت بي، وكذلك أشقائي وشقيقاتي والجيران. حزنتْ عندما عرفتْ أنني سأقيم في فندق سيسل، قالت إن حجرتي كما هي لم يدخلها أحد منذ أن سافرت فأفهتها أنني قادم في مهمة عمل رسمية، وسأعود سريعا إلى الخليج، وسأمر عليهم ثانيةً.

باب العمارة الحديدي في ميامي كان مغلقا، لم أحمل مفتاحا. أنزل سائق التاكسي حقيبتي الصغيرة على الرصيف وظل معي، ندق على باب العمارة، إلى أن فتح البواب وسألنا من أنتم: أخبرته أنني أملك شقة في الطابق الرابع، وأنني وصلت توا من سفر خارج البلاد. حمل الحقيبة، صعدنا إلى شقتي، اتفقت معه على أن يأتي بأحد كي ينظفها، حيث سأترك الفندق وأعيش بالشقة.

أطل الصيف حزينا منكسرا، كادت الأمواج أن تبكي على شواطئ الإسكندرية، أحكم المجلس العسكري قبضته على

البلاد، بعد رحيل مبارك، كي لا يحدث ما لا تحمد عقباه أكثر من ذلك، مع ذلك كانت المظاهرات مستمرة، والمليونيات تخرج كل جمعة باسم جديد، فهذه "مليونية إنقاذ الثورة"، وتلك "جمعة الإرادة"، وأخرى "جمعة القصاص" .. الخ.

فجأة تتصل بي الجوهرة إبراهيم من فيلتها بالرحاب، حيث تلك المدينة البعيدة كل البعد عن المظاهرات، المليونيات، الإضرابات، التجمعات، الكيانات، الائتلافات الثورية المختلفة والمنشقة على بعضها البعض.

الناس في الرحاب كأنهم في بلد آخر لا علاقة لهم بما يحدث في التحرير، أو يشاهدون ما يحدث في الفضائيات، وكأنه يحدث في دولة أخرى، وهو ما تأكدت منه في منطقة كينجي مريوط، عندما زرت أحد أصدقائي هناك، كنت أسأل عن فيلته أحد الشباب بالطريق، دلني عليها وجاء معي، وهذه من عاداتهم هناك أن يوصلك من تسأله إلى المكان الذي ترغب فيه تطوعا منه، في الطريق سألته عن رأيه في أحداث الثورة، قال لي: والله يا أستاذ احنا سمعنا ان فيه ثورة، ولكن لماذا؟

. لماذا هذه تحتاج إلى محاضرة كاملة، ليس وقتها الآن.

. أنت أستاذ في الجامعة؟

. لا .. أنا صحفي.

قالت لي الجوهرة، إما أن تأتي لي، أو آتي لك.

. الانتقالات بين المدن غير آمنة.

ـ الناس يتنقلون، يسافرون، يذهبون، يجيئون، ليس كما يصور الإعلام، وليس كما كنت تخشى، فلم يجلس أحد في البيت. إلا إذا كنت لا تريد رؤيتي في مصر، أو في الإسكندرية التي لم أزرها منذ سنوات.

. بالعكس أنتِ مرفأ الأمان الذي أبحثُ عنه الآن.

. ستجدني غدا في فندق فلسطين بالمنتزة، أنا أعرف أنه بعيد عن الأحداث والمظاهرات التي لديكم في محطة الرمل أو عند مسجد القائد إبراهيم وأماكن أخرى.

ـ عموما الفندق قريب جدا من شقتي الجديدة في ميامي، تنوري الإسكندرية أيتها الجوهرة الحبيبة الغالية، فرصة لكي نغوص في مياه المتوسط معا، بعد أن غصنا في مياه الخليج.

اتصلت بي الجوهرة، أخبرتني أنها حجزت جناحين بفندق فلسطين.

. جناحين؟

. واحد لي، والآخر لك.

اعترضتُ على حجز جناح لي، فأنا لدي شقتي هنا في الإسكندرية، وإذا كنت سأزورها في جناحها، فلماذا تحجز لي جناحا (أهو بعزقة فلوس على الفاضي).

. حتى تكون على راحتك يا حبيبي في جناحك.

. جناحٌ من الشوق طيرًا إليكِ

أحطُّ على ساعديكِ

حمامةَ عشقٍ وشوق

تغني الليالي

ويسكرُ فجرُ الغرام

ـ تعالَ إذًا يا فجر الغرام، ولا تتأخر فأنا في شدة الشوق والهيام.

. مسافة السكة.

صعدت إلى جناحي بالفندق أولا، وضعت حقيبتي الصغيرة، ثم ذهبت إلى جناحها، فرأيتُها أجمل من كل مرة، أجمل مما

كانت في قصرها، وفي خليجها، وفي رقصها، أجمل مما كانت في عمَّان والبتراء، شعرها الأسود الفاحم الطويل، المنسدل على ظهرها، يتماوج مثل النخيل إذا ما هبت رياح الأصيل، ونهدٌ تمرّد فوق السرير، فأصبح شمسا تجيئ تروح وظلا دفيئا تكوَّر بين يدي.

. الإسكندرية تضفي عليكِ جمالا وسحرا من نوع خاص.

. تقصد جمالا مصريا؟

ـ جمالا إغريقيا .. جمالا أسطوريا .. أنت الإلهة فينوس .. إلهة الحب والجمال .. بل أنت الجمال نفسه. أنا بجماليون أشكلك حسبما أريد وأنفخ فيكِ من روحي، فتحلقين فوق سماء المتوسط، تهبطين بين ذراعي ملاكا وفجرا.

. أنتَ لم تسكر بعد.

ـ سكرتُ من خمر جمالك، من اعتدال قوامك، هيا إلى جناحي الخاص ندخله معا بالرجل اليمين، يا صاحبة أجمل قدمين شاهدتهما في حياتي.

. فلنكن هنا في جناحي أفضل.

أعددتُ لكَ زهوري وعطوري

رتبت كلَّ شيء هنا

جمالي وحناني .. ربيعي وزماني
لأكون بين يديك أميرة تعشق السفر إلى جنان الرضاب
الشبّاك المفتوح على البحر فتحته لك مثل خلاياي ومسامي التي تتوق إلى لمساتك
هيأتُ نفسي لك
هيا حبيبي لا تُضع وقتا فأنا في غاية الشوق واللهفة
أريد أقصى نشوة ..
أحلى شهوة
لا نضمن ماذا سيحدث في الغد.
انتهينا من الغرام، أشبعتُها ما لذَّ وطاب من الفعال والكلام، سافرتُ إلى كل زوايا الإثارة، ونبع الحنان، تفتحت أزاهير الجسد .. عطَّرت المكان، انفعل الضوء والبحر والليل، اهتزت الأغصان، غنت الأرض من تحتنا غناء الحياة، فكسا الاخضرار وجه البسيطة.
بعد سويعات من العربدة والانسجام والاسترخاء والهيام، راحت السكرة وجاءت الفكرة، سألتني: ماذا كتبت منذ أن جئت من الخليج، ماذا شاهدت، ماذا لاحظت من تغيرات على المجتمع بعد الثورة؟

. لي الكثير من الملاحظات والمشاهدات كتبتها في عدد من المقالات لم تنشر بعد.

ـ لا تنشرها في الخليج، لكن سأرسل مقالاتك تباعا لجريدة يومية عربية تصدر في لندن.

. هل معك شيء الآن؟

ـ الآن .. لا .. أنا جئت من أجلك أنتِ فقط، لكن معي "اللابتوب" في جناحي.

ـ أرسل لي بالإيميل كالعادة، وأنا أحولها على بريد الجريدة اللندنية.

obeikan.com

في مياه المتوسط

كتبتْ لي بعد أن فتحت الإيميل وقرأت المقال: نريد المزيد من المقالات عن الشارع المصري، الناس خارج مصر، لا يهمهم معرفة الرأي الرسمي في الأحداث، أو الرأي المضاد الذي يعكس وجهة نظر مجموعة معينة أو فصيل معين، نريد يا يوسف معرفة التأثير الحقيقي للثورة على رجل الشارع العادي، جميل أن ركبت المواصلات العادية، تحاورت مع الناس الغلابة، أو الذين كما تقولون في مصر (ليس لهم في الطور ولا في الطحين) هم الأغلبية، أو كما وصفهم البعض (حزب الكنبة).

هذه هي صحافة المواطن يا يوسف أن تنقل وجهة نظر الأغلبية الصامتة، وتعبر عنها، فيصبحوا غير صامتين، بل مشاركين وفاعلين عن طريق صحافتهم وإعلامهم، وليس صحافة وإعلام النخبة.

obeikan.com

أنا حوّلت الموضوع للنشر في الجريدة اللندنية، أتوقع أن يترجم أيضا وينشر في الصفحات التي تصدر بالإنجليزية في الجريدة.

عدتُ إلى جناحها في الفندق، وأنا في غاية السعادة لرأيها الذي جعلني أكثر حماسا لكتابة المزيد من المقالات والمشاهدات، أن أكون في الشارع طوال النهار والليل، معي جهاز الموبايل متعدد الاستخدامات الذي أهدتني إياه منى فارس في أبوظبي، ما بين تسجيل صوتي، وتصوير فوتوغرافي، ولقطات فيديو، ومكالمات محلية ودولية، وتخزين صور وفيديوهات، وإرسال واستقبال على وسائل التواصل الاجتماعي، قراءة التعليقات والرد عليها، الاطلاع على أحدث الأخبار والأحداث، وغير ذلك من استخدامات.

قلتُ لها: ما رأيك أن ننزل الشارع معا؟

ـ قد يكون شكلي غير مناسب للشارع، فلا يتفاعل معي الناس كما يتفاعلون معك لأنك أقرب لهم، أنت واحد منهم، تعرف أكثر مني تفكيرهم والمناطق التي من الممكن أن

تجذبهم إليها ليتحدثوا عنها، دون أن يشكّوا فيك، أو يبتعدوا عنك.

ـ أنتِ في استطلاعاتك في الدول المختلفة، تنزلين إلى الشارع، تقابلين الناس، تتحدثين عنهم، تكشفين عن سماتهم وأحوالهم وأوضاعهم، فتأتي استطلاعاتك في غاية الصدق والروعة.

. الأمر مختلف هنا يا يوسف. أنتم في حالة ثورة، قد يخشي بعض الناس الحديث إليَّ ظنا منهم أنني صحفية أو مذيعة تلفزيون تريد صيدهم في حوار قد لا يكونون جاهزين له، أو يظن البعض أنني من فريق معين أو قناة معينة تريد أن تورطهم، أما في الاستطلاعات فالأمر مختلف، حيث الناس هم الذين يأتون إلينا طوعا لأنهم يعرفون مدى صدقنا في نقل واقعهم وأحوالهم وأوضاعهم، ونشرها في المجلة.

وليس بعيدا عني ما حدث لبعض الإعلاميين والصحفيين في ميدان التحرير لطاقم قناة خليجية كبرى، حيث تم احتجاز بعضهم لمجرد الشك أنهم من فريق مضاد.

ـ إذًا ننزل البحر معا، بدلا من الشارع، البحر رائع اليوم، والمياه تتهادي في وداعة، والأمواج تنادينا تريد أن تحضننا معا.

. فكرة ممتازة، أنا لم أسبح في الأبيض المتوسط من قبل.

. إذًا هيا.

تحضننا المياه ساعة الغروب، شمس حمراء حانية تودع يومها، كأنها تبكي على فراق الناس والبحر والشواطئ، شمس تبدأ في الرحيل إلى مستقرها الأخير، ونحن كسمكتين في الماء تتعانقان، تنزلقان إلى الأسفل، ثم تشبّان، تصعدان تغوصان، تلتويان ترقصان، أحضنها تحت الماء، أقبلها، لا أدري أهذا رضابها أم زبد البحر.

ـ أنتِ في مياه البحر أجمل منك على السرير، أنت أجمل من حوريات البحر.

ـ وأنتَ سندباد البحر الذي أبحث عنه طول عمري، وجدته في الخليج، فأبحرت معه أشاهد غزواته ومعاركه وانتصاراته إلى أن أتينا إلى الأبيض المتوسط.

ـ المشهد الوحيد الذي أراه الآن أمامي هو أنتِ والبحر والسماء المرصعة بالنجوم.

خلفنا حدائق المنتزة بأشجارها وشوارعها التي كانت هادئة وأناسها وعشاقها، بين كل شجرتين تجد عاشقين يلتحفان الفضاء. أنا والجوهرة ننام على بُسُطِ الماء، كصوفيين ينقطعان إلى عبادة رب السماء.

أخذتنا النشوة في الماء، تلصصنا في هذا المساء، على حرّاس السماء، سمعنا الشهب وهي تناجي النجوم في هذا الاتساع الكوني العظيم، رأينا الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم. نحن نسبِّح أيضا فوق سرير الماء، ينزل علينا من السماء ماء إلهي رحيم، نغتسل به، نعود إلى جنة آدم قبل أن يُطرد منها.
تبكي الجوهرة وتقول: هذه أروع لحظة في حياتي، لا أدري كيف أخذتني إليها يا يوسف، أنت ساحر ولست مجرد شاعر.

أحكم الليل قبضته على الكون أمامنا، سمعنا صفارات إنذار من الغطّاسين الذين يعملون بفندق فلسطين، يبدو أننا تجاوزنا حدود المياه المسموحة للسباحة أمام الفندق، أو أن

الوقت داهمنا، فكان لا بد من تنبيهنا بهذه الصفارات التي تأمرنا بالخروج من المياه، من هذا السحر الرباني، من جنة بحر المنتزة.
تبًّا لهؤلاء البشر الذين أفسدوا علينا نعمة القرب من العرش الإلهي العظيم، ألم يروا ماء الله الذي أرسله لنا رب العالمين، كاختيار لنا دون بقية الخلق أجمعين، في هذا الليل المائي المنير؟

بدأنا رحلة الخروج من عالم الماء الوسيع، مثل آدم وحواء لحظة خروجهما من الجنة، بعد أن أكلا من الشجرة. نحن لم نأكل من تلك الشجرة المحرمة، كنت أنا والجوهرة بين يدي الله نسبح حول العرش المائي العظيم، تأنس لي، وآنس لها، تلبسني وألبسها، وأدركت ساعتها معنى "الجوهرة"، وأدركت هي معنى "يوسف".
عدنا في اتجاه الفندق نقطر لذة صوفية عميقة، تحفنا الملائكة، تغشانا السكينة، ترقص حولنا حوريات البحر، إلى أن خرجنا على رمال الشط، وعدنا إلى بشريتنا مرة أخرى.

نظرت إلى مبنى الفندق كأنني أراه لأول مرة. هذا الفندق الذي أسَّسه الرئيس جمال عبدالناصر وافتتحه عام ١٩٦٤ ليحتضن مؤتمر القمة العربية لمناقشة وحل القضية الفلسطينية، اجتمع فيه القادة والزعماء العرب، لم تحل القضية حتى اليوم، وها أنا والجوهرة نجتمع فيه أيضا نحل قضايانا ومشاكلنا ورغباتنا الروحية والجسدية، ونتابع مجريات الثورة المصرية.

obeikan.com

شخصيتان لروح واحدة

كثيرا ما أجد تشابها بين منى فارس المصرية والجوهرة إبراهيم الخليجية، هل هما نسختان لشخصية واحدة، أو شخصيتان لروح واحدة؟

الشخصيتان يريدنني رئيسا لتحرير مجلة ما، منى فارس في مصر، والجوهرة في الخليج. الغريب أنهما يتمتعتان بقوام وجسد ممشوق وكأنهما لاعبتا تنس، غير أن منى فارس لم تتزوج حتى الآن، أو تزوجت الفن والشهرة والأضواء، والجوهرة مات زوجها مبكرا، فكلتاهما الآن غير متزوجتين.

لفتني في كلام الجوهرة أنها تمتلك فيلا في الرحاب، معلوماتي أن لمنى فارس أيضا فيلا في الرحاب، كلتاهما تحب الصحافة والثقافة والفنون، غير أن منى اتجهت

obeikan.com

للتمثيل لكنها ما زالت تحن وتعشق الصحافة، الجوهرة تعشق الصحافة وترفض العمل بالتلفزيون. هل من الممكن أن تتجه للتمثيل مثل قرينتها منى فارس. سألتها أجابت: يذبحونني!

. مَن؟

. أهل زوجي الراحل؟

. لماذا؟

. أنسيتَ أنني أم لحفيد عائلة زوجي؟ ويجب علي أن أحافظ على اسم تلك العائلة.

. وهل التمثيل عيب أو حرام؟

. لا .. من وجهة نظرنا طبعا، لكن مازالت التقاليد والأعراف القبلية تحكمنا في الخليج. لولا وضعي الاجتماعي لصرت ممثلة أو فنانة شاملة. إنهم سمحوا لي بالعمل في المجلة على مضض، قالوا: إنك لا تحتاجين إلى العمل ولا إلى المرتب الشهري الضئيل من ورائه، فثروتك كبيرة.

. لكن إذا لم أعمل سأصاب بالملل والزهق والتعب الصحي. وافقوا بصعوبة. اخترت تلك المجلة الشهرية، فإيقاعها هادئ وليس سريعا مثل الصحف اليومية أو حتى المجلات الأسبوعية.

أنا الشطٌ

منذ فترة طويلة لم أتحدث أو أهاتف منى فارس، منذ لقائنا في أبوظبي، لكني أتابع أخبارها في الصحافة الخليجية وفي المحطات الفضائية. فلأجرب الاتصال بها وأنا في الإسكندرية الآن.

. ألو .. منى؟

. لست منى .. مَن معي؟

. أريد أن أكلم الفنانة منى فارس؟

. من معي لأخبرها؟

. من أنتِ؟

. أنا مديرة أعمالها.

. أخبريها .. يوسف عبدالعزيز.

. أهلا يا يوسف، أين أنت من زمان، أنت في مصر؟

. نعم .. أنا في الإسكندرية؟ أتابع أخبار الثورة الجديدة.

obeikan.com

. أكيد تعرف أخباري، مثلما أعرف أخبارك؟

. هل تتابعين أخباري؟

. طبعا يا ابني .. وأتابع المجلة التي تعمل فيها، استطلاعك عن البتراء يجنن، كيف كتبته بهذه الطريقة الساحرة؟

. هو الذي كتب نفسه بنفسه.

ـ ضاحكة: (يا شيخ! ده أنا عجناك وخبزاك). متى سأراك لأشكرك على الحوار الذي أجريته معي.

. ليس قريبا! ولكن أريد أن آخذ رأيك في موضوع يهمني.

. تفضل يا يوسف.

. لدينا زميلة بالمجلة، تريد تنصيبي رئيسا للتحرير؟

. مَن .. الجوهرة إبراهيم؟

. هل أنت تعرفينها؟

. طبعا .. هي صديقتي منذ وقت بعيد، منذ أن كنت أعمل بالمجلة النسائية الخليجية، كانت تتصل بي، ثم تطورت العلاقة بيننا إلى صداقة، خاصة بعد أن اشتريت فيلتي في الرحاب إلى جانب فيلتها، كانت عندما تأتي إلى مصر نلتقي دائما، تحضر بروفات أعمالي، لا نفترق إلا بعد لحظة الوداع بمطار القاهرة.

obeikan.com

ـ (بنت الإيه) .. لم تخبرني على الإطلاق، وعندما تأتي سيرتك لأي سبب من الأسباب، ولا كأنها تعرفك.

. ربما لأنها تشك أنه يوجد علاقة ما بيننا؟

. ضاحكا: وهل هناك؟

ـ يا يوسف .. لماذا تريد أن تحرق المراكب التي بيننا؟ أنا لست من أولاد يعقوب كي تعاقبني، نسيت جلساتنا ولقاءاتنا في الإسكندرية وكازينو الشاطبي؟ ألم تقل لي أحلى شعر في العيون:

"**عيناكِ سماواتٌ سبع**

وأنا كيف أصلّي لهما

عيناكِ تضمان البحر

وأنا موجةُ عشق تسبح

لكن تجهل أين الشطُّ".

قلت لك: أنا الشطُّ يا يوسف، ولن أكون امرأة العزيز، ودعوتك إلى شقة طلعت حرب التي أعددت لك فيها حجرة، لكنك تمنعت. أنت كتاب مفتوح بالنسبة لي، على عكس كل من أتعامل معهم الآن في الوسط الفني الذين يريدون أن ينهشوني لحمًا وعظمًا ومالا، لذا تظل أنت يا يوسف النقي

التقي الجميل في إنسانيته وشِعره، سأظل مدينة لك بكل الأيام الحلوة في الإسكندرية.

ـ لم أنس مطلقا أيام الإسكندرية، ذلك الحنين الجارف الذي يسري دائما في روحي وجسدي.

ـ لعلمك يا يوسف عندما أخبرتك أنني سأبحث لك عن فرصة عمل بالخليج، اتصلت بالجوهرة وأخبرتها، قالت إذا كان يهمك سأسعى له في ذلك، فقلت لها: يهمني طبعا.

ـ ورئيس التحرير الذي اتصل بي أكثر من مرة قبل العمل هناك، وكلفني بتغطيات صحفية للمجلة من مكتبة الإسكندرية؟

ـ مجرد إجراءات واختبارات (تيست) للتعرف عليك وعلى قدراتك الصحفية، وفي الوقت نفسه لو كانت هناك فرصة يستثمرها لإضعاف فرصتك، أو رفضك لدى الوزارة.

. لماذا؟

ـ لأنك من طرف الجوهرة التي لا يحبها رغم أنها هي التي رشحته ليكون رئيسا للتحرير بدلا منها.

ـ ربما لهذا السبب لا يحبها، لشعوره دائما أنها وراء ذلك الاختيار، إي أنها صاحبة منّة وفضل عليه. المهم ما رأيك؟

. اقبل يا يوسف، ستنتقل إلى وضع مادي أفضل، سيمنحونك فيلا مؤثثة للسكن، وسيارة أحدث موديل، تستطيع أن تنفذ طموحاتك وخططك وبرامجك واقتراحاتك التي كان يرفضها دائما رئيس التحرير الحالي.

. أنت تعرفين كل شيء ..

هل تعلم منى حقيقة علاقتي التي تطورت بسرعة عجيبة مع الجوهرة؟ هل الجوهرة تغار من منى لذا منحتني نفسها بسرعة، ودون أن تتحدث أو تشير إلى علاقة زواج من قريب أو بعيد. وإلى متى ستستمر العلاقة بيننا على هذا النحو؟ هل تنتظر أن أفاتحها أنا في مسألة الزواج .. هل ستقبل أم تظن أنني طامع فيها؟ وإذا وافقتْ هل سيوافق أهلها أو أهل زوجها السابق، وأعمام ابنها وجده تاجر اللؤلؤ الخليجي وصاحب الاسم العريق؟

هل أعود مرة أخرى إلى الخليج بعد أن كادت تصل علاقتي برئيس التحرير إلى طريق مسدود؟

هل مازالت زجاجتي هناك على مكتبي تشع بحارا وأحلاما وأمواجا ورذاذا ووشوشات لا تنتهي؟

أرسلت رسالة إلكترونية إلى صديقي منسق المجلة: إذا لم أعد إليكم خلال أسبوعين .. اعطِ الزجاجة التي على مكتبي لـ سوريش الهندي!

(تمت بحمدالله)

obeikan.com

أحمد فضل شبلول

مواليد الإسكندرية.

حصل على جائزة الدولة التشجيعية في الآداب عام ٢٠٠٧.

له ثلاثة عشر ديوانا شعريا مطبوعا، آخرها:

اختبئي في صدري – الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٧.

يكتب للأطفال وأصدر سبعة كتب في هذا المجال آخرها:

ديوان "دوائر الحياة" – الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١١.

يكتب الدراسات الأدبية والنقدية وله ١٨ كتابا مطبوعا في هذا المجال آخرها:

"**آفاق وأعماق .. عشرون رواية عربية**".

حصل على جائزة المجلس الأعلى للثقافة . شعبة الدراسات الأدبية والنقدية عام ١٩٩٩ عن بحثه "تكنولوجيا أدب الأطفال."

أصدر بعض المعاجم العربية منها: **معجم الدهر. ومعجم أوائل الأشياء المبسط. ومعجم شعراء الطفولة في الوطن العربي خلال القرن العشرين.**

obeikan.com

obeikan.com